

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

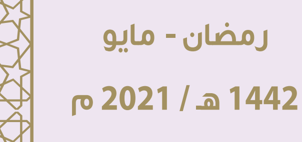
(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد الحادي والستون
البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae



61

رمضان - مايو
1442 هـ / 2021 م



عدد خاص
احتفاءً
بمسبار الأمل



مَجَلَّةُ جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الحادي والستون

رمضان ١٤٤٢ هـ - مايو ٢٠٢١ م

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩x

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير.. ١٧-١٩

- **كلمــة المشرف: مسبار الأمل الإماراتي عنوانٌ لرقي البحث العلمي وبُرهانٌ على: القول بالفعل**

المشرف العام.. ٢٠-٢٢

- **البحوث**.. ٢٣

- **الأمير محمد بن حاتم بن عمرو الهمْداني (٧١٣هـ) حياته وما بقي من شعره ونثره**

د. عبد الله طاهر الحذيفي ٢٥-٨٤

- **انسجامُ الخطابِ القرآني في المستوى الدّلالي: السُّوَرُ المُفتَتَحَةُ بحرفٍ مُقطَّعٍ واحدٍ نموذجًا**

د. نزار جبريل السعودي - د. علي كامل الشريف ٨٥-١٣٤

- **تحليل النموذج العاملي في رواية متاع في ضوء الدراسات الاجتماعية والنفسية للدكتورة: مريم حسن آل علي**

د. ناجية علي راشد الخرجي ١٣٥-١٧٠

- **توظيف المرويّات الشعبيّة في قصص الأطفال (قصص الأطفال في الإمارات أنموذجاً)**

د. بديعة خليل أحمد الهاشمي ١٧١-٢١٢

- **حديث معاذ بن جبل في الجمع بين الصلاة، دراسة استقرائية نقدية**

د. عبدالسلام أحمد محمد أبوسمحة ٢١٣-٢٧٠

- **سلطة النسق اللغوي بين اللغة العالمة واللغة المؤسسية**

أ. د. أحمد حساني ٢٧١-٣٢٢

- **الصلاتُ العلميةُ والاقتصادية والاجتماعية لعلماء مكة ومصر في القرن الثامن الهجري**

د. عبد الرحمن حفظ الدين ٣٢٣-٣٧٤

- **قراءات معاصرة للنص القرآني: دراسة نقدية في ضوء الأداتين اللغوية والأصولية**

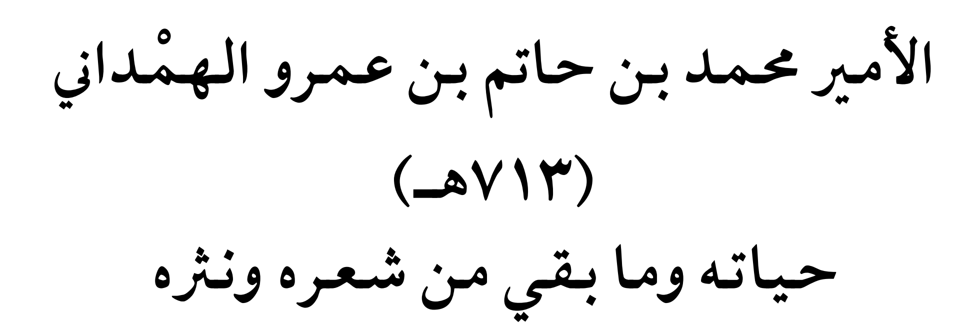
د. مُحي الدين إبراهيم أحمد عيسى ٣٧٥-٤١٦

- **المصحف الإمام والأحرف السبعة: دلالات اتحاد الأمة ودواعي الثقة والاعتماد**

د. حمزة حسن سليمان صالح ٤١٧-٤٦٠

- **كتم الطبيب الأسرار الطبية وإفشاؤها بين الأزواج من منظور الشريعة الإسلامية (بحث باللغة الإنجليزية)**

د. معن سعود أبو بكر - د. أنس عزالدين جراب ٢١-٣٨



Prince Muhammad bin Hatim bin Amr Al-Hamdani His Life and What is Left of his Poetry and Prose (Died: 713 AH- 1313 AD)

د. عبد الله طاهر الحذيفي
جامعة الوصل – دبي – الإمارات

Dr. Abdullah Taher Ali Alhuthaifi
Al Wasl University – Dubai

https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i61.01





ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حياة الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عمرو الهمْدانيّ، الذي عاش خلال المدة (٦٢٥-٧١٣هـ =١٢٢٨-١٣١٣م)، في صنعاء وحولها، وأنشأ الشعر والنثر، وأسهم في كتابة التاريخ، واشتغل بالفروسية والصُّلح الاجتماعي، وقد توسلنا بالمنهج الاستقرائي التحليلي لتحقيق الهدف، عبر خطةٍ قدّمت مهادًا تاريخيًّا، وتعريفًا بهذا الأديب وبمرتبته بين قومه وعند سلاطين الدولة الرسولية وولاتهم على المنطقة الساخنة (صنعاء- صعدة)، ودوره في الصراع على النفوذ بين الرسوليين والأئمة الأشراف، ومواقفه الإيجابية من الحرب والصلح، ونشاطه في التأليف التاريخي، وجمع ما بقي من شعره واختيار نصوص من نثره، وضبط النوعين، ودراستهما، واستخلاص سماتهما الفنية. وقد استمدَّ هذا البحث مادته من كتب تاريخ اليمن المطبوعة والمخطوطة؛ ومن أبرزها كتاب «السمط الغالي الثمن»، لابن حاتم نفسه، ومخطوط «نزهة الأفكار» لإدريس الأنف، وغيرهما. وبهذا نقدم للباحثين أديبًا ظل مغمورًا طوال قرون مضت، إلا ما تقدم به (G.R.SMITH) محقق كتاب «السمط» من حديث وجيز عن حياته بما يتلاءم مع هدف التحقيق.

الكلمات المفتاحية: (الهمْداني - محمد بن حاتم - شعر - نثر - صنعاء - اليمن).

Abstract

This research aims to discover the life of the Prince Badr Al-Din Muhammad bin Hatim bin Amr al-Hamdani who lived in Sana'a and its surroundings in the period (625-713 AH = 1228-1313 AD). He wrote poetry and prose and contributed to history writing and got involved in knighthood and peace making.

The researcher made use of the inductive analytical method to achieve the aim, introducing a historical background; a bibliography of the writer; his position among his people and the Rasulids State Sultans and their rulers on the hot zone (Sana'a – Sada'a); his role in the conflict over power between the Imams and gentlefolks; his positive attitudes towards war and peace; his efforts in writing history; then choosing texts from his prose and collecting the remaining poetry and extracting the artistic features. This paper has got its content from a number of the Yemen history references both in print and manuscript, among which are: Kitab Al-Simt Al-Ghali Al-Thamen for Ibn Hatim himself, the manuscript: (Nozhat Al-Afkar and Rawdhat Al-Akhbar (Edrees Al-Anaf) and others. Thus, this study provides researchers with an outstanding writer that has been obscure for centuries except for the very short bibliography written by G.R. Smith (the editor the book: Al-Simt) which was done in line with the aim of his investigation.

Keywords: (Al-Hamdani- Mohammed Bin Hatim- Poetry - prose –Sana'a- Yemen).



المقدمة

إشكالية هذا البحث تبدو من خلال التساؤل عن أسباب غياب الدراسات المتخصصة بأدباء اليمن في العصر الوسيط، ولماذا لم يتم الكشف عنهم؟ ولذا تسعى هذه الدراسة إلى استحضار ما بقي من ملامح حياة عَلَم من أعلام اليمن وأدبه، إذ كاد التلف والنسيان أنْ يأتي عليها، لولا ما احتفظتْ به بعضُ مصادر التاريخ اليمني المتاحة، من مطبوعة ومخطوطة، إنه الأديب المؤرخ الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عمرو الهمْدانيّ، الذي عاش خلال المدة (٦٢٥-٧١٣هـ =١٢٢٨-١٣١٣م)، في مِخْلافِ صنعاء باليمن، وكان فارسًا نبيلا وشاعرًا ومنشئًا للنثر، فضلا عن إسهامه في كتابة التاريخ، والاشتغال بالتصالح الاجتماعي.

أما هدفُ البحث فالكشف عن هذا الأمير الأديب في إطار عصره ومكانته بين قومه، وأثره في محيطه المجتمعي، وجمع ما بقي من شعره، واختيار نماذج من نثره الفني القليل والمتفرق في ثنايا ما سرد من الأخبار في كتابه التاريخي: «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن»[1] وضبْط النصوص الشعرية والنثرية ضبطَ تخريج وتحقيق، ودراستها وإبراز جوانبها الموضوعية والفنية. وقد توسلنا بالمنهج الاستقرائي التحليلي لتحقيق الهدف، من خلال الخطة المرسومة على النحو الآتي:

أولا: وقفة تاريخية مع عصره، تُعرِّف بإيجاز بسلاطين الدولة الرسولية في اليمن، وولاتهم على صنعاء ومِخْلافِها[2]، وهي منطقة صراع متجدد على النفوذ بين الأئمة الأشراف والدول اليمنية المتتابعة وكانت مسرحَ حياة أديبنا.

١- الهمداني بدر الدين محمد بن حاتم، «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن»، تحقيق: ركس سمث، منشورات جامعة كمبردج، ١٩٧٣م، وسنشير إلى هذا الكتاب فيما يأتي بـ«السمط»، و(الغُزّ): من كلمة (أوجوز) وهم قبائل تركية قدمت من وسط آسيا إلى شمال الشام، والمراد هنا بـ«الملوك الغُزّ»: ملوك بني أيوب، الذين قدموا من مصر بجيوشهم وحكموا في اليمن (٥٦٩-٦٢٦هـ)، ينظر: «السمط» ٥٧١.

٢- ينظر: كذا في «السمط» (صنعاء ومخلافها) ٥٤١.

ثانيًا: التعريف به وبعراقته في قومه وعمله؛ فذكرنا آباءه الذين حكموا صنعاء ومخلافها حينا من الوقت، وإخوته الذين عملوا تحت إمرته، وولده الذي أصبح أميرا من بعده، وعمله برتبة أمير مع الدولة الرسولية، ومواقفه الإيجابية من الحرب والصلح، محافظا طول حياته على (شعرة معاوية) بينه وبين كلٍّ من الخصمين اللدودين الدولة الرسولية والأمراء الأشراف، وسائر المختلفين، على الرغم من تسطيره المواقف الحاسمة في كثير من الأحيان إلى جانب الدولة الرسولية، ناظرين إلى ثقافته، ومؤلَّفه التاريخي «السمط الغالي الثمن».

ثالثا: بعد البحث عن دراسات سابقة حوله، خلصنا إلى أنه ليس هنالك دراسات سابقة تخص هذا الأديب إلا ما كان من إشارات قليلة عن حياته ضمن ما قام به (ركس سمث G.R.SMITH)، محقق كتابه «السمط»، وذلك فيما قدمه في دراسته باللغة الإنجليزية التي اهتمت بشكل خاص بمَن أرَّخ لهم الكتاب من الأيوبيين قبل وجودهم في اليمن وبعد توليهم الملكَ فيها، وملوك الرسوليين الأوائل، فضلا عما أشار إليه المحقق من مصادر كتاب «السمط» المذكور، لكنّ ما أورده عن حياته لا يغني عن عملنا هذا، وسوف نبين ذلك في الفقرة الخاصة بكتاب «السمط» لاحقًا.

رابعًا: جمع ما تبقى من شعره، واختيار أربعة نصوص من نثره مما تفننَّ في إنشائه خلال ما كان يسرد من الأخبار التاريخية في «السمط»، وتخريج نصوص الفنّين وضبطها مبنًى ومعنى.

خامسًا: الدراسة الفنية للنصوص الأدبية: وفيها قمنا بدراسة تحليليةٍ موجزة تناسبُ المضمون والشكلَ، وتكشفُ عن جماليات الفنّين الشعر والنثر، بلغةٍ لا تُباينُ طريقة البيان المناسب لنصوصها.

سادسًا: **الخاتمة**: وبها تممنا البحث بأبرز النتائج المتمثلة في الكشف عن شاعر

وكاتب للنثر ومؤرخ وعلم من أعلام اليمن ظل في طي النسيان طوال قرون مضت، وقدمنا قائمة بالمصادر والمراجع، التي كان أكثرها من كتب تاريخ اليمن، وبعضها مما لايزال مخطوطًا.

سابعًا: فهرس المصادر والمراجع، على شكل قائمتين الأولى باللغة العربية والثانية بالإنجليزية.

أولا: عصر محمد بن حاتم الهمداني:

عاصر الأمير بدر الدين محمد بن حاتم[١] بن عمرو خلال حياته المفترضة بين (٦٢٣-٧١٣هـ) أربعةً من سلاطين الدولة الرَّسولية، وعمل تحت راية ثلاثة منهم بشكل مباشر؛ لأنه كان في عهد الأول منهم تحت رعاية والده الأمير حاتم بن الأمير عمرو بن السلطان علي بن حاتم (الأول)، وكانت الدولة الرسولية قد حكمت في اليمنَ من سنة (٦٢٦ إلى٨٥٨هـ =١٢٢٩-١٤٥٤م)، وفيما يأتي نقدم لمحات عن السلاطين الرسوليين الأربعة الذين عاصرهم وعمل تحت رايتهم، ثم نتبعهم بولاة صنعاء الذين شاركهم وعمل معهم:

١- السلاطين الذين عمل تحت رايتهم:

١- مؤسس الدولة الرسولية نور الدين عمر بن علي رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ)[٢]، الملقب بالمنصور، الذي جعل مدينةَ تَعِزّ عاصمةً للدولة، وامتدّ نفوذه على سائر اليمن، ولم تتأرجح به إلا البلاد العليا، ولاسيما خط الأحداث الساخنة بين صنعاء وصعدة، إذ كانتْ صعدة غالبا بيد الأئمة الهادوية (الزيدية)، أو

١- يمكن الإشارة إلى (حاتم) بالثاني حتى لا يلتبس الأمر على القارئ بسبب ما تتابع في هذه الأسرة من التسيمة بـ(حاتم) إذ كان على رأسها السلطان حاتم بن أحمد الذي تولى حكم صنعاء ومخلافها خلال المدة: (٥٣٣-٥٥٦هـ) وفيه قدمنا بحثا سابقا عن حياته وما بقي من شعره، وتم نشره في العدد ٥٧ من مجلة جامعة الوصل لسنة ٢٠١٩.

٢- ينظر: «السمط» ٢٣٤.

مقسومة بين الرسوليين وبينهم وقاد إلى صنعاء بنفسه أربعَ حملات عسكرية في سنة ٦٢٨ه و٦٢٩ و٦٣٧ و٦٤٦هـ، كي يزحزحَ ما يكون من مدَّ سيطرة الأئمة وأمراء الأشراف على حصون المنطقة الساخنة[١]، ومن المرجح أن ابن حاتم التقى به في رحلته الأخيرة إلى صنعاء.

٢- السلطان المظفر يوسف بن المنصور عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ)، وقد ثبّت أسس الدولة[٢]، وعيّن الولاة[٣]، وقاد إلى صنعاء بنفسه ست حملات[٤]، ودانتْ له بالطاعةِ مخاليف اليمنُ كلها[٥]، وأقرّ له خصومه بالدهاء، وحسن السياسة، ومنهم الإمام المطهر بن يحيى (ت٦٩٧هـ)[٦] الذي نعاه قائلا: «مَاتَ التُّبَّعُ الأكبرُ، مات معاويةُ الزمان، ماتَ مَنْ كانتْ أقلامُهُ تكْسِرُ رِمَاحَنا وسُيوفَنا»[٧]، وكانت وفاته في رمضان سنة: ٦٩٤هـ[٨]، وكان محمد بن حاتم يعمل معه عن قرب إذا دخل المظفر صنعاء أو استدعاه إليه في تعز أو زبيد، مما سنبينه لاحقا.

٣- الأشرف عُمر بن المظفر يوسف، وكان والده المظفر قد كلفه على رأس حملات عسكرية لاستعادة النفوذ بين صنعاء وصعدة، مرات ثم نقل إليه والده الحُكمَ قبل موته سنة (٦٩٤هـ)[٩]، وكان ابن حاتم صادق الود له والمساعدة، إلا أنَّ مدة حكم الأشرف لم تدمْ سوى سنة وسبعة أشهر،

١- ينظر: «السمط» ٢٠٣ و٢٠٤ و٢١٨ و٢٢٤-٢٣١.
٢- ينظر: «السمط» ٢٦٨ - ٢٧٥.
٣- ينظر: «السمط» ٢٦٢ و٢٧٤ و٢٨٧.
٤- ينظر: «السمط» ٣٠٣-٣٠٥ و٣٣٦-٣٣٨ و٤١٦ و٤٢٥.
٥- ينظر: السمط: ٥٠٩-٥٢٦.
٦- اليماني عبد الباقي بن عبد المجيد (ت٧٤٣هـ)، «بهجة الزمن في تاريخ اليمن»، تحقيق: عبد الله الحبشي ومحمد السنباني، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ط ١٩٨٨م، ١٧٢.
٧- «بهجة الزمن» ١٧٢.
٨- ينظر: "بهجة الزمن" ١٧١.
٩- ينظر: «السمط» ٥٦٦. وينظر: «تاريخ اليمن» للحمزي، ١٢١

وتوفي في شهر المحرم سنة ٦٩٦هـ[١].

٤- المؤيد داود بن المظفر (٦٩٦-٧٢١هـ)[٢]، انتقل إليه الحكم بعد أخيه الأشرف، وقاد بنفسه إلى صنعاء حملات عدة[٣]، ولم يكن الأمير محمد بن حاتم سعيدًا بانتقال الملك إليه مثلما كان سعيدًا بملك أخيه الأشرف، وتوفي ابن حاتم في منتصف مدة حكم المؤيد، وكان للمؤيد وَلَعٌ ببناء القصور والبساتين وإقامة الحفلات والأعياد[٤]، واستقدام العلماء والأدباء وأصحاب الطرائف[٥]، وكانت المكتبة في تعز في عهده تحتوي على (١٠٠٠٠٠) مئة ألف مجلد[٦]، وتوفي في مستهل ذي الحجة سنة ٧٢١هـ[٧].

٢- ولاة صنعاء ومخلافها:

توالى على ولاية صنعاء ومخلافها في حياة محمد بن حاتم عشرة من الولاة الذين عمل معهم وشاركهم الأمر والمشورة بمستويات متفاوتة وهم:

١- أسدَ الدين محمد بن حسن بن علي بن رسول، تولّى صنعاء (٦٢٧-٦٤٧هـ)، للسلطان المنصور، ثم استمر واليًا عليها للسلطان المظفر (٦٤٨-٦٥٨هـ)[٨].

٢- عَلَمُ الدين سُنْجُر الشَّعْبي، أسند إليه المظفر ولاية صنعاءَ سنة (٦٥٩هـ)، وظل عليها حتى مات تحت هدم قصر الولاية بصنعاء في ١٨ ربيع الآخر سنة ٦٨٢هـ، ورافقه محمد بن حاتم طوال ولايته وشاركه الأمر حتى سقط سقف

١- ينظر: «تاريخ اليمن» للحمزي، ١٢١
٢- ينظر: قرة العيون ص٣٣٤ و٣٣٩ و٣٤٨.
٣- ينظر: «تاريخ اليمن من كنز الأخيار» ١٢٥و١٢٩-١٣١ و١٤٢-١٤٣.
٤- ينظر: «تاريخ اليمن من كنز الأخيار» ١٣٨، و «بهجة الزمن» ٢٣٨و٢٤٠و ٢٥١-٢٥٥.
٥- ينظر: «بهجة الزمن» ٢٤٠ و٢٧٩و٢٨١و٢٨٤.
٦- ينظر: «أعيان العصر وأعوان النصر» خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: نبيل أبو عمشة وآخرين، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ٢ / ٣٥١.
٧- ينظر: «بهجة الزمن» ٢٨٥.
٨- ينظر: «السمط» ٢٠٢و٢٠٤.

القصر على رأسيهما وهما معًا فمات الوالي وأُخرِجَ أديبنا محمد بن حاتم من تحت الهدمِ حيًّا[١].

٣- الواثق إبراهيم بن السلطان المظفر، تولى صنعاء، بين (٦٨٦-٦٩٣هـ)[٢].

٤- الأشرف بن السلطان المظفر، أُسنِدت إليه صنعاء مرتين بين السنوات ٦٨٦-٦٩٣هـ[٣].

٥- المؤيد بن السلطان المظفر، تولاها خلال السنوات ٦٨٧-٦٩٣هـ[٤].

٦- العادل بن السلطان الأشرف، تولاها مدّة ملك والده سنة ٦٩٤-٦٩٦هـ[٥].

٧- المظفر بن السلطان المؤيد، دخلها واليا لوالده سنة ٦٩٦هـ، وظل يتركها ويعود إليها[٦].

٨- الظافر بن الملك المؤيد، تولاها سنة ٧٠٠هـ[٧]. عندما تركها أخوه المظفر.

٩- سيف الدين طغريل، ولاه السلطان المؤيد عليها سنة ٧٠٢-٧٠٤هـ، وسنة ٧٠٥-٧٠٩هـ[٨].

١٠-محمد بن حسن بن بوز، ولاه السلطان المؤيد صنعاء سنة ٧١٠هـ[٩]، وفي سنة ٧١٢ هـ سكن ذمار[١٠].

١- ينظر: «السمط»، ص ٥٣٨-٥٤٠، و«بهجة الزمن»: ١٦٢-١٦٣.
٢- ينظر: العقود اللؤلؤية ص٢٦٠.
٣- ينظر: السمط، ص٥٦٢ وما بعدها.
٤- ينظر: السمط، ص٥٦٢ وما بعدها.
٥- ينظر: بهجة الزمن ١٧٦.
٦- ينظر: بهجة الزمن: ١٨٨ و١٩٢ و٢٣٧ و٢٤٤.
٧- ينظر: بهجة الزمن ٢٠٦.
٨- «تاريخ اليمن من كنزالأخيار» ١٢٩ و١٣٥، و١٤١ و١٤٤، و«بهجة الزمن» ٢١٦ و٢٣٧ و٢٤٤ و٢٦٠.
٩- ينظر: «تاريخ اليمن من كنز الأخيار» ١٤٣ «بهجة الزمن» ٢٦٤.
١٠- ينظر: «بهجة الزمن» ٢٦٨.

ثانيًا: حياة محمد بن حاتم:

١–التعريف به:

هو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عَمْرو بن علي بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمْداني[١]، لم تُعرف سنةُ ميلاده ولا وسنة وفاته، لكننا من خلال الأحداث نُقَدِّر أنه عاش ما بين السنوات (٦٢٣-٧١٣هـ)، وكان قد نشأ في بيت شرف وإمارة وفروسية، قال الجندي: «بنو حاتم بيتُ رئاسةِ هَمْدَان، لهم مكارمُ مُستفاضة، رأيتُ منهم: محمدَ بنَ حاتم بن عمرو بنِ علي بن حاتم الهمْداني اليامي، معدودٌ فِي الفُضلاء، له تاريخٌ فِي أخبار اليمن لم أقفْ عليه»[٢].

٢– آبـــاؤه:

جدُّه الأول القاضي عمرانُ بن الفضل اليامي الهَمْداني كان خطيبًا شاعرًا وفارسًا نبيلا، وكان وقومه معه من أقوى رجال الدولة الصليحية اليمنية (٤٣٩-٥٣٢هـ)، تولى أمرَ صنعاء ومخلافها للمكرم ثاني ملوك الدولة الصليحية (٤٥٩-٤٧٧هـ)[٣].

أما جدُّه الشهير فهو السلطان حاتم بن أحمد بن عمران الهمْداني، الذي صار حاكما للدولة الحاتمية في صنعاء وأعمالها (٥٣٣-٥٥٦هـ)[٤]، وكان فارسًا حكيمًا حَسن السياسة، وعالمًا وشاعرًا[٥].

١- ينظر: الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، "طُرْفَةُ الأصحاب في معرفة الأنساب"، تح: ك. و. سترستين، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢، ص١١٧-١١٩.

٢- الجندي محمد بن يوسف بن يعقوب، «السلوك في طبقات العلماء والملوك»، تح: محمد علي الأكوع، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة: ١٩٩٣م، ٢ / ٥٢٨.

٣- الهمداني حسين فيض الله، "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن"، بيروت ومنشورات المدينة، صنعاء ط ٣، ١٩٨٦م، ينظر ص١٤١ وهامشها، وص١٣٦-١٣٨.

٤- ينظر: "قرة العيون"، ص٢٠٥-٢١١.

٥- ينظر: الحذيفي عبد الله طاهر، "حاتم بن أحمد الهمداني سلطان صنعاء (٥٣٣-٥٥٦هـ) حياته وما تبقى من شعره"، مجلة جامعة الوصل دبي، العدد٥٧، يونيو: ٢٠١٩م.

وجدّ والده هو السلطان علي بن حاتم (٥٥٦-٥٩٧هـ)، الذي استتبَّ له أمر صنعاء ومخلافها بعد والده، وتَمَلَّكَ الحصونَ الشامخة، كـ«ذي مَرْمَرْ» و«كوكَبان» و«العَروس» وغيرها[١]، لكنَّ سلطته تزعزعتْ بحلول الأيوبيين في اليمن، وهجوم توران شاه على صنعاءَ سنة ٥٧٠هـ[٢]، وبقي بسُلطةٍ ضعيفة في حصن ذي مَرْمَرْ.

أما جدّه القريب فالأمير عَمرو بن السلطان علي بن حاتم، وكان له «أمرُ «كوكبانّ» وبلادها و«بَكْر» وحَجَّةَ وبلادهما والمخلاف، وما يتبعه»[٣]، وقد حاصره الملكُ الأيوبي العزيز طُغْتكين[٤] سنة ٥٨٥هـ، وضرب حصنَ «كوكبان» بالمنجنيق، فاضطرّ للتسليم، وعملَ ضيافةً مُعتَبرةً، فلمَّا امتدَّتْ مائدةُ الطعام «تَعَجَّبَ الملكُ العزيزُ... وقال: لمْ نرَ مثلَ هؤلاءِ القوم، نأخذُ حصونَهم، ويَلْقَوننا بالكرامة»[٥]، وكان للأمير عمرو ثلاثةٌ من الولد، هم: حاتم وعلي وناجي[٦]، وكان (حاتمُ بنَ عمرو) هذا هو والد أديبنا الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، وهو الذي صار إليه أمرُ همْدانَ وبعض حصون شمال صنعاء ومنها كوكبان والعروس تحت راية الملك المنصور الرسولي[٧].

٣- عُمره ونشاطه:

برز نشاطُ الأمير محمد بن حاتم في ساحة الرجال المعدودين وهو بصحبة

١- (ذي مرمر) حصن شامخ، شمال شرق مدينة صنعاء، يبعد عنها ١٥كم، حاصره الملك طغتكين أربع سنوات ثم تركه، ينظر: قرة العيون ٢٠٨، وينظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٢ / ١٤٩٤، و(كوكبان): حصن شمال غرب صنعاء، بمحافظة المحويت، ينظر: نفسه ٢ / ١٣٥٧، وحصن (العروس) كان على جبل جنوب حصن كوكبان، ينظر نفسه ٢ / ١٠٥٥، وينظر في تملك آل حاتم لها: قرة العيون، ص٢١٢.

٢- ينظر: "قرة العيون" ص٢٨٦.

٣- "طُرْفَةُ الأصحاب" ١١٨.

٤- العزيز طغتكين بن أيوب، حكم اليمن خلال الأعوام (٥٧٧-٥٩٣هـ)، ينظر: «السمط»، ٢٤ وما بعدها.

٥- ينظر: «السمط» ٣٦.

٦- ينظر: «طرفة الأصحاب»، ص١١٨.

٧- ينظر السمط: ٢٦١-٢٦٢.

والده الأمير حاتم بن عمرو، في حصن العروس، عام ٦٤٧هـ في بداية عهد السلطان المُظَفَّر، وذلك عندما مَدَّ المظفر الرتبةَ في كوكبان وآلَ حاتم بالمال، كي يتمكنوا من حماية الحصون، والوقوف أمام توسع نفوذ الأئمة، قالَ محمد بن حاتم: إنّ المظفر: «جَهَّزَ رسولا مُتنكرًا بزيِّ الفقراءِ من زبيدَ إلى حصنِ كوكبان، وأَصْحَبَهُ خمس مئة مِثقال، وقال: سلِّمْ هذا المالَ لأهلِ كوكبان جَامِكيَّة[1]، قال [محمد بن حاتم]: فبينما نَحْنُ ذاتَ يوم بحصن العروس إذ سَمِعنا ضربَ أرْيَاح وبوقات[2]، وتحيةً عظيمةً، فبعثَ والدي رسولا إلى «كوكبان» يستطلعُ العِلْمَ، فعادَ من فوره، وأخبرَ أنَّها بشارةٌ بوصولِ كتابٍ من مولانا السلطان المظفر، ووصول الجامكية، ثم جاء الرسولُ إلى والدي بكتابِ مولانا الملك المظفر بِخَطِّ يدِهِ، يأمرُهُ بإعانةِ أهلِ كوكبانَ، وأنَّه لا يغْفُل عنهم، ويُعَرِّفُهُ صدورَ مائتي مِثقال، ويخبره بما وقعَ من الفَتح والنصر باستفتاح زَبيد، ويقولُ: وأمَّا الأشرافُ، وكونهم قد غلَبوا على شيءٍ من بلادنا فنحنُ نُخرِجُهم منها»[3].

نستخلص من هذا الخبر إلى أنّ أديبنا محمد بن حاتم وهو راوي الخبر قد أصبحَ في عام ٦٤٧هـ فارسًا بجانب والده، ونقدِّر أنّ عمره إذ ذاك قريبٌ من (٢٥) عامًا، وعليه يكون ميلاده سنة ٦٢٣هـ تقريبًا، وقد ذكرَته المصادر المتاحة آخر مرة في أحداث سنة ٧٠٢هـ، عندما كلّفه السلطان المؤيد مع آخرين بحصار حصن جَرْبان[4]، وبالحوار مع الأشراف حول تسليم حصن تَلَمَّص بصعدة[5]، ثم يغيبُ ذكره غير إشارةٍ أثبتها المحقق محمد الأكوع (ت٢٠١١م)، عندما ذكر كتابه «السمط»، ضمن مصادر تحقيق كتاب «قرة العيون» فقال: «السمط الغالي

١- أرزاق، (مرتبات).
٢- الأرياح أصوات الطبول، والبوق النفير.
٣- «السمط» ٢٦١-٢٦٢.
٤- «بهجة الزمن»، ص٢١٤، وحصن (جربان) على الطريق بين صنعاء وعمران. ينظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ١ / ٣١١.
٥- ينظر: «العقود اللؤلؤية»، تح: بسيوني وتعليق الأكوع ط٢، ١٩٨٣م، ١ / ٢٨١.

الثمن لمحمد بن حاتم اليامي المتوفى حوالي سنة ٧١٣هـ»[١]، فإذا تأكدت سنة وفاته هذه فإنه يكون قد عاش بين عامي (٦٢٣-٧١٣هـ أي قريبا من (٩٠) عامًا.

لُقِّبَ محمد بن حاتم بـ(بدر الدين)، على عادة أهل زمانه، وحملَ رتبةَ (أمير)؛ لأنه تولّى أمرَ قومه بعد والده حاتم بن عمرو الهمداني، وأقرّ السلطان المظفر هذه الرتبة، وجعله مستشارًا له ولولاة صنعاء ومخلافها، وقائدا لقومه فيها[٢].

٤- فروسيته:

برزَ الأمير بدر الدين محمد بن حاتم مُقاتلاً شُجاعًا، يحسن إدارة المعارك، ويمضي على رأسِ حَمْلَة عسكرية مُنفِّذا أوامرَ السلطان المظفر، قال: «فلمّا وصلَ مولانا السلطان صنعاءَ وَرَدَ أمرُهُ عليَّ بالمحطَّة[٣] على حصن الظّفر...»[٤]، وكان تارةً مع قائد من قادة الدولة الرسولية، وأخرى يخرج للقتالِ بإخوته وقومه؛ أورد عن معركةٍ وقعتْ قُرْبَ صنعاء بين الأشرافِ وعسكرِ المظفر الذين يقودهم الوالي علم الدينِ الشعبي، قال: «ومالتْ خيلُ الشرفاءِ واقتسمَتْ شُروعًا، وَأَلْوَتْ بالمحطة من جميع جوانبها... فأرسلتُ صِنْوِي[٥] السيفَ في خَيلٍ ورَجِلٍ مُقابَلَةَ [الأمير علي بن عبد الله وبني شهاب]، وأقبلَ [الشريف] أحمدُ بن محمدٍ بن حاتم بمَن معه، فجعلتُ في مقابلتِهم صِنْوِي الفهدَ، وفي خلال ذلك أرسل إليَّ الأمير علم الدين [الشعبيَ] أنّي أواجهه ونشتور، فقلت: ليس هنا مشورة، ولا هذا وقتها، بل يقابل كلٌّ ما قابله، فلمْ يكنْ بأسرعَ مِن أنْ جَالَتِ خيلُ الأميرِ علم الدين جولةً

١- ينظر: «قرة العيون»، ٥١٨، وذكر الأكوع أنه لم يقف على تاريخ وفاة محمد بن حاتم. ينظر: نفسه ٢٥٩، ومقدمة «السلوك» ١ / ١٢. ويبدو أن الأكوع رصد تاريخ وفاته قبيل إخراج كتاب «قرة العيون» من المطبعة.

٢- وصفَ الملك الأشرفُ محمّدَ بن حاتم بـ(الأمير)، ولو كانت هذه الرتبة مُقْحَمةً ما ذكرها، ينظر: "طُرْفَة الأصحاب" ص١١٩.

٣- المحطة: المكان الذي ينزل فيه المقاتلون، لحصار أو حرب. لسان العرب (حطط).

٤- الخبر في «السمط»: ص ٣٣٨.

٥- الصنو: الأخ.

فصرعَتْ عيالَ صَفِيِّ الدين، ثم خرجتُ أنا بمَن معي مِن همْدان وقد تلازَمَ الأميرُ عليُّ بن عبد الله بمَن معه هو والصنو السيف ومَن معه ملازمةً عظمة، فكَسَرناهم وانكسرَت الشروعُ كلها، ومنح الله النصرَ والظفرَ الجنودَ المُظفَّرية، وعُدْنا إلى المحطة وكَلٌّ منّا يُهنِّئُ صاحبَه بالظفر»[1].

ومما يضيفه الخبر أنه يبرز مقدرته على حسن القيادة، وضبط إيقاع المعركة، وحسم الموقف، والابتعاد عن تضييع الوقت حتى لو كان ذلك بطلب من القائد العسكري الوالي الشعبي؛ إذ ردّ عليه: بأنه لا وقتَ للمشورة وإنما الوقت وقت حسم.

٥- إخــوتـه:

أشارَ محمد بن حاتم في كتابه «السمط» إلى خمسة من إخوته هم: عليٌّ والسيفُ والفهد وبِشْر وسالم، وذكر صاحب «طرفة الأصحاب»، أولاد حاتم بن عمرو، فزاد ثلاثةً هم: مدرك وأحمد وعمرو[2].

كان إخوته هؤلاء فرسانًا يعملون معه، ويكلفهم بمهام لا تخرج عن مهامه، تحت راية الدولة الرسولية، وقد ذكر أخاه عليًا في كتابه «السمط» ١١مرة؛ إمّا وهو مُكلّفٌ بمهمة عسكرية، أو بسعي في صلح... وذكره آخِرَ مرة فيمن ماتوا تحت هَدْم قصر والي صنعاء سنة ٦٨٢هـ[3]، وكان أخوه السيفُ من أهل المهام العسكرية، واستقطاب بعض الرجال من الصف الآخَر[4]، وتركه مرةً عند قوم رهينةً بصلح[5]. وكان الفهد إلى جانب فروسيته فصيحَ اللسان، لذلك حمّلَهُ قصيدَتَهُ في تهنئة الأشرف بن السلطان المظفر، عندما عاد منتصرًا من جهات

١- ينظر: «السمط» ٤٢٢- ٤٢٤.
٢- ينظر: «طرفة الأصحاب»، ١١٩.
٣- ينظر دور علي بن حاتم في السمط: ٤٤٩،٤٦٠، ٤٦٤،٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٣٤.
٤- ينظر: السمط: ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٤٥.
٥- ينظر: السمط: ٣٤١.

صعدة، وأمره أنْ يلقِيَها بحضرته[١]، وكان بِشْرٌ مقاتلا يقود بعض الرجال، وقتله الأشراف في معركة سنة ٦٨٣هـ[٢]، وظل سالمُ يقوم بالمهام العسكرية إلى جانبه[٣].

٦- ولـــــده:

للأمير محمد بن حاتم ثلاثة من الولد، هم: سليمان وأحمد وعبد الله، ذكرهم مؤلف «طرفة الأصحاب»[٤]، وكان أديبنا قد ذكر أنه لما استمال صاحبَ ذمار سليمان بن محمد لطاعة الأشرف جعل ولده مرافقا له إلى حضرة الأشرف في حصن الظاهر سنة ٦٨٧هـ[٥]، ومن المرجح أنّ ابنه المشار إليه هو سليمان، وأنه قد أصبح في عداد الفرسان، وهو الذي ظهر في سنة ٧١٤هـ[٦] أميرًا لقومه بعد وفاة والده، وكلفه السلطان المؤيد، بأن يتسلَّم حصن «اللجام» من بعض الأشراف، قال عماد الدين الحمزي: «ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة... وفي صفر سلَّم الأمير عبد الله بن علي حصنَ «ظُفُر»[٧] عَدَالةً إلى السلطان سُليمان بن محمد بن حاتم الهمداني، حتى يسلِّمَ حصنَ «اللِّجام»[٨]؛ لينشر به السلطان [المؤيد] طبلخانة، ويقطعهُ القَحْمَةَ، فوصلتْ كتبُ سُليمانَ بِقَبْضِه»[٩]، وتبرز منزلة الأمير سليمان من خلال وصف الحمزي له بـ(السلطان)، ونحسبه أراد التذكير بأنّ سليمان من أحفاد سلاطين بني حاتم، وأنه قد حلّ محل أبيه في ريادة قومه وخدمة الدولة الرسولية.

١- ينظر: السمط: ٥٥٣، وقبلها: ٥٤٤، ٥٤٦.
٢- ينظر: السمط: ٥٤٢.
٣- ينظر: السمط: ٥٤٣، ٥٤٩.
٤- ينظر: طرفة الأصحاب، ص١١٩.
٥- السمط: ٥٥١. و«الظاهر» حصنٌ بين عمران وصعدة.
٦- ينظر: «تاريخ اليمن من كنز الأخيار»، ص١٤٨.
٧- ظفر: حصنٌ في ظليمة غربي خَمر بمحافظة عمْران. ينظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ١ / ٩٥٠.
٨- اللجام: حصنٌ في الحدب ببني مَطر غرب صنعاء. ينظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٢ / ١٣٦٦.
٩- الحمزي عماد الدين إدريس بن علي، «تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار»، تحقيق: د. عبد المحسن المدعج، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢م، ص١٤٨.

٧- عمله مع سلاطين آل رسول المظفر والأشرف والمؤيد:

لا يستبعد أن يكون التعارف بين الأمير بدر الدين محمد بن حاتم والمظفر قد تم بصنعاء عندما كان المظفر مع والده السلطان المنصور عمر بن علي رسول فيها سنة ٦٤٦هـ[١]، ولذلك استقبل أديبنا ابن حاتم بفرحٍ خبرَ وصولِ رسالة السلطان المظفر إلى والده الأمير حاتم بن عمرو وهما بحصنً العروس أواخر سنة ٦٤٧هـ، عندما أصبح المظفر على رأس السلطة في الدولة الرسولية بعد أبيه، وربما رأى ابن حاتم في الخبر بشارة بتعاون قادم بينه وبين السلطان، فضلا عن وصول المعونة المالية، وأغلب الظن أنّ اللقاء الثاني بينهما قد تمّ عندما قاد المظفر حملته الأولى إلى صنعاء سنة٦٥١هـ[٢]، لإخضاع المناوئين لدولته، فرأى في ابن حاتم سندًا؛ لأنه متمكِّن من أمور القيادة، فضلا عن مقدرته الأدبية وكتابة التاريخ، فأخبره المظفر بقصة كسرِه شوكة منافسيه على الحكم، ومنهم ابن عمه فخر الدين الذي استقبل قتلة السلطان المنصور وطمِع إلى السلطنة وكان يُعسكِر قربَ مدينة زَبيد، قال محمد بن حاتم: «قال لي مولانا الملك المظفر: كان السببُ في لزوم المماليك لفخر الدين؛ أنهم خرجوا من المحطة التي له يتطّلعون الأخبار، فوافاهم بريدُ الأمير فخر الدين صبحتُه كتبٌ منه إلينا بما يسوؤهم، فعادوا إلى المحطة ولزموه في ذلك الوقت»[٣]، كان هذا الخبر بمنزلة إشعار من السلطان للأمير بدر الدين محمد بن حاتم بأنْ يجمع أخبارَ دولةِ المظفر.

أصبح الأمير محمد بن حاتم وجيها عند السلطان المظفر، فكانَ يَسْتَدْعيه لبعضِ المَهَامِّ، فيمْثُلَ بين يديه في مدينة تَعِز، أو في زَبِيد[٤]، أو في صنعاء عندما يقيمَ المظفر فيها، ويستصوب مشورته ورأيه، أورد إدريس الأنفَ: أنّ محمد بن

١- ينظر: «السمط» ٢٢٤-٢٣١.
٢- ينظر: «السمط» ٣٠٤-٣٠٥.
٣- ينظر «السمط» ٢٥٨-٢٥٩. لزموه: اعتقلوه.
٤- ينظر: «السمط» ٣٩٣، ٤٥٤، ٥٥٦.، ٥٥٧ و٥٥٨ و٥٦١.

حاتم كان وجيها عند السلطان، وله عنده أرفعَ منزلة[١]، وقال محمد بن حاتم: «ولمّا اسْتقرَّ المُخَيَّمُ السلطاني برَيْعَانَ[٢]، استدعاني مولانا السلطان، وقال: إذا كانَ الصبحُ فاركبْ في مئة فارس، وطُفْ هذا الجبلَ عَيْبانَ[٣] وأبْصِرْهُ من تحته وتأمَّلْ جوانبَهُ، ومن أيِّ جهةٍ يُتَصَوَّرُ طُلوعُهُ، واخرجْ إلى ناحية بيتِ حَنْبَص[٤]، وَادْرِ بأهْله[٥]؛ ففعلتُ ما أمرني، ووصلتُ بيتَ حنبص، وأمَّرْتُ[٦] لرَجُلَيْنِ من كِبارِهم، فَلَقِيَاني فوعدتُهما بالخير من مولانا السلطان، وأوعدْتُهما سَطْوَتَهُ، فمَالا إلى كلامي وقبلاه، وأمرتُهما بالوصولِ إلى المحطَّة فوصلا، وعدتُ إلى مولانا السلطان مُخْبِرًا له بما كان، وقلتُ له: الصوابُ أَنْ يُعْمَدَ [إلى] بيتِ حُنْبُص، فهو أسهلُ لنا مِنَ الجبلِ، وأقلُّ خطرًا على العسكرِ، ولم أطلبْ منهما غيرَ ألا يَصِلَ الشُّرفاءُ لهم أبدًا، ولا يُؤْوهم، فإذا فعلوا ذلك؛ وتَمَكَّنَ العسكرُ من بيتِ حُنبص، لم يقفْ أحدٌ من الشرفاءِ في الجبلِ، وإذا كان ذلك؛ أخذنا حَدَّةَ وسَنَاعَ في يوم واحدٍ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى، فقالَ مولانا السلطانُ هذا هو الرَّأْيُ»[٧]، ويتأكد للقارئ من هذا الخبر أنّ المظفر كان يركن إلى ابن حاتم، ويقدره حق التقدير، وكان ابن حاتم قادرا على استمالة المخالفين، ومدركا لشمائلَ السلطان المظفر، من رَجَاحَةِ العقلِ، وحُسْنِ السياسةِ، ولُطْفِ المعاملةِ، والحسْم في جلائلِ الأمورِ، مع كرم وشجاعةٍ، وسرعةٍ في الحركةِ إلى تحقيقِ الغاياتِ، ولكلِّ هذا أنزلَ كلٌّ منهما الآخر من نفسه منزلة عالية، قال محمد الأكوع: «عاصرَ الأميرُ بدرُ الدين الملكَ المظفرَ يوسفَ،

١- ينظر: الأنف عماد الدين إدريس بن الحسن (٧٩٤-٨٧٢هـ)، "نزهة الأفكار وروضة الأخبار"، (مخطوط)، منه نسخة إليكترونية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، مأخوذة من ميكرو فيلم (٧٤٩٣) عن الهيئة المصرية للكتاب، تم تصويره عام١٩٨٣م، من مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، لوحة ٦٩، لقطة (٠٣٣٧).
٢- رَيْعان: قريةٌ غربي صنعاء بعد منطقة الصباحة. ينظر معجم البلدان والقبائل اليمنية، ١ / ٧٢٢.
٣- عَيْبَان: جبل شامخ إلى الغرب من صنعاء.
٤- بيت حَنْبَص: بلدة كانت مسورة في ظاهر جبل عَيْبَان. معجم البلدان والقبائل اليمنية،١ / ٥١٨.
٥- اِدْر: أي: اعرف خبرهم.
٦- أَمَّرَ: أرسلَ وطلب.
٧- ينظر: السمط، ٤٢٩-٤٣٠.

وأرخ له وسايره إلى آخر نفَس من حياته»[١].

وأخلص محمد بن حاتم للأشْرَف بن السلطان المظفر أميرًا ثم سلطانًا، وبذل له المودة والطاعة، وكان يرى فيه نجابة والده، وكان لا يُخفي رغبته في أنْ يصبح السلطان بعد أبيه، وربما ساعد على ذلك سرًّا وعلانية، يُلمسُ هذا من صياغته لأخبار الأشرف التي أوردها في «السمط» على قلتها؛ إذ كان يجعلها مشرقة العبارة، على غير العادة في سرده بقية الأحداث، وقد اخترنا بعضها لتكون نماذج من نثره، وأعددناها للدراسة، واستتبّ المُلك للأشرف في منتصف سنة ٦٩٤هـ، لكنه ما لبث أنْ مات بعد عامٍ وسبعة أشهر، أي في السابع من المحرم سنة ٦٩٦هـ[٢].

وأطاعَ ابن حاتم السلطانَ المؤيد (٦٩٦-٧٢١هـ)[٣]، مع ما كان يدركه فيه مِن قِلَّةِ تدبيره لأمور السياسة، منذ أنْ تولّى صنعاء في عهد أبيه خلال سنوات ٦٨٧-٦٩٣هـ، حين خَسِرَ مُناصريه، وتضاءل نفوذه[٤]، فاستدعاه والده السلطان المظفر من صنعاء[٥]، قال الأمير ابن حاتم: «وردَ عليّ الأمر السلطاني بالمثول إلى الأبواب السلطانية [في تعز]، وكنتُ منقبضًا عن الملك المؤيد في [حصن] العروس، فنزلتُ إلى الأبواب السلطانية، فتلقاني [المظفر] بالبرِّ والكرامة التي هي من عوائده الجميلة إلينا، ووصلني ومَن معي من الصدقات العميمة بما لا أقوم بشكره... ثم أمرني بالطلوع صُحْبَةَ الملك المؤيد، بعد أنْ أكّد الوصية عليه فيَّ، وأوصاني بخدمته، فطلعتُ تحت ركابه إلى صنعاء»[٦]، ومرة أخرى لم يتمكن

١- ينظر: مقدمة كتاب «السلوك» للجندي: ١ / ١٢.
٢- ينظر: "بهجة الزمن": ص١٧٦، وقرة العيون: ٣٣٩.
٣- قرة العيون ٣٤١ وص ٣٤٨.
٤- ينظر: «السمط» ٥٥٧-٥٥٨.
٥- السمط: ٥٥٥-٥٥٧، وذلك في سنة:٦٩٣هـ.
٦- السمط ص٥٥٧-٥٥٨.

المؤيد من استمالة أهل البلاد، فطلبه والده وجعله واليا على الشِّحْر[١]، ثم صارت السلطنة إلى المؤيد بعد الأشرف فلم يجد الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بُدًّا من خدمة دولته وتنفيذ توجيهاته، ومنها تكليفه بحصار حصن جَرْبان مع آخرين سنة ٧٠٢هـ[٢]، والحوار مع الأشراف حول تسليم حصني ظَفار وتَلَمَّص بصعدة، غير أنه في المهمة الأخيرة لم يرجع إلى المؤيد بطائل[٣]، ما جعل مؤلف بهجة الزمن يغمزه بأنه صار ممن يريد الغيار على دولة المؤيد[٤].

٨- موقفه من فتنة أهله في حصن ذي مرمر:

ظل حِصنُ ذي مَرْمَر من أبرز مصادر قوة آل حاتم خلال قرن من الزمان، منذ أن حازه جدهم السلطان علي بن حاتم بعد توليه حكم صنعاء وأعمالها سنة ٥٥٦هـ، حتى خرج هذا الحصن من أيديهم سنة ٦٦٣هـ، بعد فتنةٍ ماحقةٍ بينهم قسمتهم إلى فريقين، وكان الأمير محمد بن حاتم على رأس فريق منهم، فأخرجوه ومَن معه، وظنوا أنهم قد تمكنوا من الإمساك بالحصن، أورد إدريس الأنف أنّ بني حاتم لم يقبلوا برأي أبرز رؤسائهم وهو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، وأخرجوه من الحصن، فقال فيهم:

ليتَ شِعري مِن عِلْمِ خَطْبٍ أتاني	هــو حَــقٌّ أمْ زاغَ فيـهِ الخَـبيرُ
يا بَــني حــاتمٍ حلُومُـكُمُ الشُّـمُّ	رَوَاســٍ واليـومَ كـادتْ تطيرُ[٥]

وحُصِر الذين بقوا في الحصن وكانوا يميلون إلى الأمير صارم الدين داود بن الإمام عبد الله بن حمزة، فأخذ يبذل جهده في التنفيس عنهم، وكان يُمَنِّيهم

١- ينظر: السمط ٥٦١.
٢- بهجة الزمن، ص٢١٤.
٣- ينظر: العقود اللؤلؤية، تح: بسيوني ٣٣٨، والعقود تعليق الأكوع ط٢، ١٩٨٣م، ١ / ٢٨١.
٤- ينظر: «بهجة الزمن» ٢١٥.
٥- ينظر: "نزهة الأفكار وروضة الأخبار"، مخطوط لوحة ٦٩، لقطة (٠٣٣٧).

الأمانيَّ[١]، وطال حصارهم، فأصيبوا بمرض غريب تتساقط منه الأسنان ويموت المصاب، فقبلوا بتسليم الحصن بشيء من المال[٢].

٩- سعـي محمد بن حاتم في الصلح:

كان أكثر الفُرَقَاءِ من أرباب الخِصام في مناطق خط الأحداث الساخنة بين صنعاء وصعدة يجدون في أنفسهم ثِقَةً كبيرةً بحسن سَعْي الأمير بدر الدين محمد بن حاتم في الصلح، وكان على الرغم من ولائِهِ الشديد للسلطان المظفر لا يَرُدُّ مَنْ يخالفُه إذا جاء يطلبُ العونَ في أمرٍ لا يشقُّ به عصا طاعةِ السلطان، وكان ابن حاتم يبادر إلى مُفَاتَحَةِ الخُصوم سَعَيًا للصلح وتجنبا للقتال، نرى مثل ذلك في قوله: «طلبني الأميران فخر الدينَ وشجاع الدِّين[٣] للِّقاء، فلقيتهما ثلاثة أيام، ولم أزلْ بهما حتّى انصرمَ حديثهما على تسليم حصن عَزَّانَ والمَصْنَعَة، والإنْعام عليهما بثلاثين ألفَ دينار، فقبضتُ المبلغ إلى [حصن] العروس حتى سلَّما إليَّ الحصنين، وحصنين وأيّ حصنين! منْكبَي السَّوافِح اليمنية، ورَوْقَي المَصَانِعِ الحِميَريّة! لم يطمعْ فيهما أحدٌ مِنَ المُلوك، ولا فازَ بتَطَرُّقٍ إليهما ولا سُلوك... وكان تسليمهما في شهر جمادى الأولى سنة ٦٦٤هـ»[٤].

وكان يتمكن من إرْضَاءِ السلطان وخصومه، من ذلك: أنه تَلَقَّى أمرًا مِن السلطان المظفر بالتقدُّم لحربِ بني شِهابٍ (بني مطر)، فتَقَدَّمَ إليهم راغبًا في المصالحة بينهم وبين السلطان، وللحصولِ على ثقتهم سَلَّمَ إليهم أخاهُ الفارسَ

١- ينظر: لوحة ٦٩، لقطة (٠٣٣٧).
٢- ينظر: "السمط":٣٤٣-٣٥٨.
٣- فخر الدين عبد الله بن يحيى بن حمزة، وكان بيده حصن المصنعة، وشجاع الدين أحمد بن محمد بن حاتم بيده حصن عزان، وهما من الأشراف، وكانا تحت حصار عسكر الملك المظفر. ينظر: السمط الغالي الثمن: ٣٦٤.
٤- ينظر: السمط: ٣٦٤-٣٦٥. ومن الملاحظ عناية ابن حاتم بالتفنن في صنع العبارة.

السيفَ بنَ حاتم رَهْـنًا بِتَمام الصلح، وذلك سنة: ٦٥٨هـ[١]، وسجّلَ في «السمط»، مواقفَ متعددةً من إبرام الصلح وبسط السلام[٢].

١٠- مكانته الثقافية:

- ثقافته العامة:

كان الأمير بدر الدين محمد بن حاتم حافظا لأشياء من القرآن الكريم[٣] واسعَ الثقافة الأدبية، متمكنًا من علوم العربية، حافظًا لعيون من أشعار العرب، يشير إلى ذلك ما أثبته في كتابه «السمط» من أشعار عمرو بن كلثوم، والنابغة الذبياني، وكثير عزة، والأخطل، وأبي دَهْبَل الجُمَحي، ومروان بن أبي حفصة، وأبي تمام، والبحتري، والسريّ الرفّاء، والمتنبي، والمبارك بن منقذ، فضلا عما أورده من قصائد طوال وقطع لشعراء من أهل اليمن، ومن شعر قومه بني حاتم، وكان مُلمًّا بالأحداث التاريخية، وكان يعرف أخبار الدويلات التي حكمت في اليمن قبل دولة بني أيوب، والأوْلَى منها أخبار دولة أجداده الحاتميين ومَن كان قبلهم، ثم أصبح جامعا لأخبار الأحداث في عهد الدولة الرسولية، ولا سيما أخبار السلطان المظفر الذي طال ملكه حتى زاد عن ٤٥ سنة، وغدت أخباره تربو على نصف كتاب «السمط».

- كتاب «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن»:

ألفه محمد بن حاتم الهمداني، وحققه المستشرق البريطاني ركس سميث (G.R.SMITH)، ونشر متنه العربي في ٥٩٠ صفحة، وهو في أخبار الوقائع والأحداث في اليمن منذ دخول الأيوبيين إليها سنة ٥٦٩هـ حتى وفاة المظفر ثاني سلاطين الدولة الرسولية في اليمن، سنة ٦٩٤هـ، وقد شغلت أخبار سبعة من

١- ينظر السمط: ٣٤١.
٢- ينظر: السمط: ٢٧٨، ٢٨٦، ٣٠٤، ٣٩٣، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٩٩، ٥٦٤، ٥٥٥.
٣- ينظر: السمط، ص ٥٣٨-٥٤٠.

ملوك الأيوبيين قريبا من ١٩٩ صفحة من الكتاب، وجاءت أخبارُ مؤسس الدولة الرسولية السلطان عمر بن علي رسول، في ٣٥ صفحة، ثم خصص أكثر الكتاب (قريبًا من ٣٣٤ صفحة) للأحداثِ التي وقعت في عهد السلطان المظفر ثاني ملوك الدولة الرسولية.

ويغلب على مادة الكتاب أخبار الأحداث المتعلقة بالصراع على النفوذ في الأعمال الصنعانية والصعدية وما حولهما، قال فيه مؤلفه «وجُملة سيرةِ الدولِ للملوكِ كافّة باليمن إنّما هي البلادُ العليا والأشراف»[٤]؛ وذلك أنّ الشغل الشاغل لليمن طوال التاريخ الوسيط إلى وقتنا هو الصراع على النفوذ بين الأئمة الأشراف وخصومهم من الدول المتتابعة أو بينهم بعضهم بعضًا، ولم يجد اليمنيون فسحةً من الوقت للبناء الحضاري إلا ما كان على غفلة من أزمنة الصراع، وكانت تلك المناطق الساخنة مسرحًا لنشاط أديبنا المؤلف الأمير بدر الدين محمد بن حاتم الهمداني، وغدا الكتابُ مصدرًا لأكثر ما بقي من سيرته وأدبه من شعر ونثر.

ظهرت للكتاب تسميتان، الأولى: «السِّمْط الغالي الثَّمَن في أخبار المُلوكِ من الغُزِّ باليمن»، والثانية: «العقد الثمين في أخبار ملوك اليمن المتأخرين»[٥]، وذهب «سمث»، الذي حقق الكتاب تحت العنوان الأول إلى أنّ الاسم الثاني ليس إلا لكتاب آخر للمؤلف، وذكر أنه لا وجود لنسخ منه في الواقع[٦]، وما نراه أنّ الكتاب واحد، وصار له تسميتان بسبب الخلاف حول أصول ملوك الدولتين الأيوبية والرسولية، حيث يرى فريق أنهم من «الغُزّ» (الترك)، ولذا فأنهم غرباء وطارئون على اليمن، ويبنَى عليه أنهم لا حق لهم في الملك، وراج هذا الرأي

٤- ينظر: السمط ٥٣٠.

٥- تاريخ ثغر عدن، للطيب بن عبد الله أبي مخرمة، اعتنى به علي حسن الحلبي، بيروت دار الجيل، ط٢، ١٩٨٧م، ص١١٥.

6- SIMITH, G.R. (1987).The Ayyubids and early Rasulds in Yemen (567-694 \1173-1295): A study of ibn Hatim’s Kitab al- Simt including glossary, geographical and tribal indices and maps. (Vol.2). 1-3. London: The Trustees of the “E.J.W.GIBB MEMORIAL”p3.

وهذه التسمية في مناطق نفوذ الأئمة، أما التسمية الثانية فللفريق الآخر وهم الرسوليون، وكانوا يرفضون وصفهم بـ(الغُزِّ)؛ لأنهم وصلوا نسبهم بجَبَلَةَ بنِ الأَيْهَم ملك الغساسنة، والغساسنة قبيلة يمانية نزلتْ في الشام قبل الإسلام[١]، وبهذا جعل الرسوليون لأنفسهم رابطا وطنيا باليمن، وحقا في الملك، واستخدم التسمية الثانية مؤرخو الرسوليين، ومنهم الخزرجي فأثبتها في كتابه «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية» وكان يكتفي بالإشارة إلى الكتاب بـ»العقد الثمين»، أو «العقد»[٢]، ونقل بعضُ المؤرخون عن كتابٍ للمؤلف باسم «السيرة المظفرية»[٣]، ولا يستبعد أنْ يكون المؤلف أو غيره قد فصَلَ من كتابِ «السمط» ما يخص عهد المظفر وعهد أبيه زاد فيه قليلا وسمّاه بذلك، وأحسبُ أن نسخ الكتاب لم تسلم من الزيادة والنقصان، وهذا ما يفسر وجود بعض الاقتباسات التي لا توجد في النسخة المحققة.

- دراسة (سميث) لكتابه «السمط» وتحقيقه:

كان أكثر شغل المحقق (سمث) بالتعليقات حول الفروق بين النسخ التي حقق منها الكتاب ووضع في نهايته فهرسا للأعلام، وقد أفدنا منه كثيرًا في تأصيل أكثر مادة هذه الدراسة، وأضاف (سميث) دراسة باللغة الإنجليزية، تضمنت خمسةَ فصول: الأول عن المؤلف وعمله في صفحات قليلة اهتم فيها بما ينبغي على المحقق توفيره عن مؤلف الكتاب المحقَّق، والفصل الثاني عن الأيوبين قبل دخولهم اليمن، والثالث عن اليمن قبل الأيوبيين، والرابع عن الرسوليين الأُوَل، والخامس ملاحظات وتعليقات على نص «السمط» (فيما يخص التحقيق)،

١- ينظر: «العقود اللؤلؤية»، بسيوني: ٢٦-٢٧.

٢- رجع الخزرجي إليه مرات عدة في «العقود اللؤلؤية»، تح: بسيوني وتعليق الأكوع ط٢، ١٩٨٣م،١ / ٣٩و٢٦و٦٤٩١ و٩٩ و٢١٠ و٢١١-٢١٤ و٢٢٨ و٢٧٣. وكذا ابن الديبع في قرة العيون، ص٢٥٩.

٣- ينظر: «العقود اللؤلؤية»: ٣٧ و١٨٥و١٨٦.

وأتْبعَ ذلك بقائمة المصطلحات وبكشافٍ جغرافي، وآخر عن القبائل، وفهرس للموضوعات. وفي حديثه عن المؤلف ذكر أنه لم يعثر له على ترجمة، وأنه ارتقى إلى رتبة أمير عند الرسوليين، وقام بأعمال سياسية نيابة عنهم، وكُلِّف بأعمال عسكرية، وكان يُوكَل إليه توزيع معاشات الجند أحيانًا[1]. لقد أقام المحقق ملامح سيرة مؤلِّفِ كتابٍ يعملُ على تحقيقه، أمّا عملنا فقد انصبّ على استقراء حياة هذا الأديب، وجمع ما بقي من شعره واختيار نصوص من نثره المبثوث بطريقة غير منظمة في كتابه، ودراسة هذا وذاك.

ثالثا: أدبه:

ما تبقى من شعره ومختارات من نثره:

أ- ما تبقى من شعره:

(ق١)[2] [الطويل]

١- ولو علموا عُقْبَى الأمورِ لقابلوا أَوَائِلَها بالحَزْمِ واطَّرَحُوا العُجْبَا

٢- ولكنَّهُ المَقدورُ يَلْوِي بِذي الحِجَى فَيَسْلِبَهُ إنْ حُمَّ آراءَهُ سَلْبَا

(ق٢)[3] [الخفيف]

١- ليتَ شِعري مِن عِلْمِ خَطْبٍ أتاني هو حَقٌّ أمْ زاغَ فيه الخَبيرُ

1- SIMITH, G.R. (1987).The Ayyubids and early Rasulds in Yemen 1-4.

٢- البيتان ضمن خبر ساقه الأمير محمد بن حاتم في "السمط": ٤٨٤، ولم ينسبهما لأحد، وأوردهما الخزرجي في "العقود اللؤلؤية" تحقيق البسيوني ص١٩٠... وبحثنا عنهما في المراجع المتاحة ومواقع البحث فلم نجد لهما نسبة، ولغة البيتين في اختيار ألفاظهما وأسلوب بنائها لا تختلف عن لغة محمد بن حاتم، ولهذا رجحنا أنّهما من إنشائه، فأضفناهما إلى ما بقي من شعره.

٣- البيتان وخبرهما في: "نزهة الأفكار وروضة الأخبار"، (مخطوطة) لوحة ٦٩، لقطة (٠٣٣٧). وفي الخبر أشار إدريس الأنف إلى فتنة آل حاتم في حصن ذي مرمر سنة (٦٦٣هـ)، وأنّ القومَ لم يَقبلوا رأيَ كبيرهم الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، وأخرجوه من الحصن، فكتب إليهم كتابًا أورد فيه البيتين.

٢- يا بَني حاتمٍ حلومُكُمُ الشُّمُّ رَوَاسٍ واليومَ كادتْ تطيرُ

(ق٣)[1] [الطويل]

١- فللَّه ذاكَ اليومُ كمْ مُقلَةٍ به أُقِرَّتْ وكمْ عينٍ بهِ أُسْخِنَتْ بُغْضَا

٢- أبانَ أناسٌ فيهِ مَكْنونَ حِقْدِهِمْ وآنَسَهُ منهمْ ولكنَّهُ أغْضَى

٣- وقالوا ولكنْ قولُهُمْ كانَ راجعًا عليهمْ: ألا ليتَ القَضا كانَ لَمْ يُقْضَى[2]

٤- فقلْ لَهُمُ: ذوقوا عَوَاقِبَ بَغْيِكمْ وما أنْتَجَتْ نِيَّاتُكمْ تلْكُمُ المَرْضَى

٥- فأقسِمُ ما شخصٌ أطاعَ إِلَهَهُ إذا هو لمْ يَرْضَ الذي ربُّهُ يَرْضَى

(ق٤)[3] [الطويل]

١- ألا مَرحبًا يابْنَ المُظَفَّرِ قابلَتْ طلوعَكَ فينا أنجمُ اليُمْنِ طُلَّعَا

٢- وأهلا بها من أوْبةٍ أشْرفيّةٍ ترُوقُ جميعَ الناسِ مَرْأى ومسْمعَا

٣- تَهُزُّ المُوالِي نَشْوَةً فكأنَّما سقتْه السلافُ الصَّرخديَّ المُشعشعَا[4]

٤- سموتَ إلى الثغْرِ المَخُوفِ بعَزمةٍ هدَمْتَ بها ما كان منه مُمَنّعَا

٥- وفجّرتَ منْ كِلْتا يديكَ مواهِبًا نعشْتَ بها أنصارَكَ اليومَ أجمعَا

١- أورد محمد بن حاتم الأبيات ضمن وصف أنشأه في تقليد الأشرف المُلْكَ، في أول جمادى الأولى سنة ٦٩٤هـ، ولم ينسبها، وبحثنا عنها فلم نجدْ لها من قائل، والراجحُ عندنا أنها من شعره، ينظر: السمط: ٥٦٦-٥٦٧.

٢- بقاء حرف العلة «الألف اللينة» بعد لم ضرورةٌ شعرية، لتحقيق مدّ وصل الروي، مجاراةً لسائر الأبيات.

٣- «قال الأمير بدر الدين محمد بن حاتم: وكنتُ في صنعاء، فلما أقبل مولانا السلطانُ الملك الأشرف قافلا من صعدة سنة ٦٨٦هـ، وبلغنا ما فتح الله له وعلى يده من النصر والظفر، أنشأتُ هذه الأبيات وصدَّرتُها إلى أخي الفهد بن حاتم، وأمرته أنْ يعرضها على العلوم الأشرفية، فأنشدها بمقامه الكريم، في موضع يسمى مَدَّرا»: ينظر: السمط: ٥٥٣-٥٥٤، و(مَدّرا) إلى الشمال من صنعاء.

٤- "صَرْخَدُ" بلدة بالشام يُنْسَبُ إليها الخَمْرُ ينظر، ولسان العرب، مادّة (صرخد).

٦- ومزَّقتَ شملا من عُداة تألَّبوا ... وجرعْتَهم من بأسك السُّمَّ مُنْقَعَا

٧- وقد جَهَدوا أنْ يغنموا لك فرصةً ... وأنْ يجدوا شيئًا لديكَ مُضَيَّعَا

٨- فكنتَ كما قد قال قبليَ شاعرٌ[1] ... وإنْ كنتَ عمَّاقال أعلَى وأرفعَا

٩- (وما أحْجمَ الأعداءُ عنك بقيَّةً ... عليكَ ولكنْ لمْ يروا فيكَ مَطمَعَا

١٠- رأوامَلِكًافي كفِّهِ الحَتْفُ والغِنَى ... أبَى الله إلَّا أنْ يضرَّ وينْفَعَا)

(ق٥)[2] [الكامل]

وقال يمدح المظفر عندما فتح ظفار سنة ٦٧٨هـ:

١- فاسْأل به الأعلامَ[3] فهو عَقِيدُها ... والعِلْمَ فهو مُصنِّفٌ ومؤَلِّفُ

٢- وأسأل شبام وحضرموت ومَن بها[4] ... أوَعِيدُ يوسفَ صادقٌ أم مُخْلفُ

٣- أم راضَهابالسيف أغْلبُ لم يزلْ ... للحق يُنصفُ والأعادي يَنسِف

٤- إذا أصبحتْ ببقاعِ حَرْيَمَ[5] خيلُهُ ... كالطير للمُهَجِ الكرائمِ تَخْطفُ

١- الشاعر هو مروان بن أبي حفصة (١٠٥-١٨٢هـ)، ورواية البيت الثاني في ديوانه: (له راحتان الحتف والغيثُ فيهما)، ينظر: ابن أبي حفصة مروان، شعر مروان بن أبي حفصة، تح: حسين عطوان، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٢م، ص٦٣-٦٤.

٢- الأبيات في "العقود اللؤلؤية: للخزرجي، تح: بسيوني وتعليق الأكوع ط٢، ١٩٨٣م،١ / ١٨٥-١٨٦، قال الخزرجي: (وقال صاحب "السيرة المظفرية" يمدح الملك المظفر من قصيدة طويلة منها هذا)، وفي العسجد المسبوك ص ٢٥٦-٢٥٧، وهي في "قرة العيون"، ص٣٣٠، ما عدا الأبيات: (٣ و٤ و٥ و١٢ و١٣). أورد الأكوع: «إنَّ مؤلف "سيرة الملك المظفر" هو الأديب بدر الدين محمد بن حاتم الهمْداني، وهي غير "العقد الثمين" إذ لم توجد القصيدة فِي العقد الثمين»، ينظر: قرة العيون، هامش ص ٢٥٩ و٣٣٠.

٣- "الأعلام" رواية العسجد، ورواية العقود اللؤلؤية، تح: بسيوني وتعليق الأكوع ط٢، ١٩٨٣م، ١ / ١٨٥"الأيام".

٤- في قرة العيون "وأهلها" بدل "ومن بها".

٥- فَي "العسجد" (حديم).

٥-ترمي العِدَى بشُواظِ كلِّ مثقَّف	فِيه لِمُعْوجِّ الطغاة مُثَقِّفُ
٦- فهناك ما بقيتْ لِغيٍّ هامةٌ	إلا بسيفِ أبي المُهَنَّد[١] تُقْطَفُ
٧- مَن لا يفوتُ عليه نَيْلُ مَرامِه	لو أنَّه خَلْفَ الكواكبِ يُقْذَفَ
٨- هو في الأباعدِ كالأقاربِ حاضرٌ	كالشمسِ مِن كلِّ المطالعِ تُشْرِفُ
٩- ومِنَ الملُوكِ الصِّيدِ تحتَ لوائِهِ	فِرَقٌ وأخرى في حديدٍ تَرسِفُ[٢]
١٠- ليستْ ظفارُ بِمُعْظَم في مُلْكِهِ	بل في مواهبِهِ تَهُونُ وتَضعُفُ
١١- كالبحرِ ليس يزيدُ في أمواجِه	نَهرٌ وليس يضرُّهُ مَن يغرِفُ
١٢- أظفارُ بَدْعٌ مِن مدائنَ حَازَها	بالسيفِ لا تحصَى ولاهي تُحْصَفُ[٣]
١٣- أم تلك بَدعٌ مِن حصونٍ شَوَاهِقٍ	تبدو فتُنْكَرَ في النجومِ وتُعْرَفُ
١٤- ألْقتْ بساحتِكَ الرِّحالَ ملوكُها	فبظلِّ بابِكَ شَملُهمْ يتَألَّفُ
١٥- أدْنَيْتَ قاصيهمْ، فككْتَ[٤] أسيرَهم	آنَسْتهم[٥]، أمَّنتَ مَن يتخَوَّفُ
١٦- هي عادةٌ لكَ مِن قديمٍ لم تزَلْ	للذنبِ تعفُو[٦] والشدائدِ تكشِفُ
١٧- كم مِن ملوكٍ قد أضعتَ دماءهم	لما عصوكَ ولم تضِعْ مَن خَلَّفوا

١- في "قرة العيون" (المهد).
٢- في "قرة العيون" (وأخرى في الحديد ترشف).
٣- الحصْف في القاموس المحيط: الإقصاء والإبعاد. ينظر: (حصف).
٤- في قرة العيون "فكنت أسيرهم".
٥- في العقود اللؤلؤية تح: بسيوني وتعليق الأكوع ط٢، ١٩٨٣م، (ألبستهم): ١ / ١٨٦.
٦- في قرة العيون تغفر.

ب- نماذج من نثره:

١- (خبرُ تَـهَدُّمِ القصر فوق الرؤوس):

نجا الأمير بدر الدين محمد بن حاتم من الهلاك، بعد ما سقط عليهم سقف قصر ولاية صنعاء وكان في حديث مع الوالي سنة ٦٨٢هـ، وسرَدَ الخبر فقال:

«دخلتُ ذاتَ يوم[١] مجلسَ الأميرِ[٢]، وقد غصَّ بالناس عَربًا وعجَمًا، فوقفَ الناسُ حتى طَعِموا، وقضوا حوائجهم، وخرجوا، ولم يبقَ معه غيرَ أنفارٍ، منهم أنا، ثم أخي علي، ثم القاضي عمر بن سعيد حاكم [قاضي] البلد، ثم محمد بن بدر، صهر الأمير علم الدين، ثم أبو بكر بن عمّار الكاتب، ومملوكان صغيران، وكان الأمير علمُ الدين في حديث محمد بن بدر، وقد وصلتْ مثالاتٌ[٣] أقلقتهُ، بسبب محمد بن بدر، وصارَ مشغولَ الخاطر فيه، لا يدري كيف يعتذرُ عند مولانا السلطان بسببه، فوقفنا حتى أذّنَ المؤذّنُ للظهر، فقام الأمير للطُّهور فتطَهرَ وصلَّى، وعاد إلينا، فقلتُ له على سبيل المجون: ما أنصفتنا، تَطَّهَّرُ وتصلِّي ونحن في منزلك لا طهورَ ولا صلاة!!، فأمرَ بعضَ مماليكه يحملُ الشَّرْبَةَ إلى المِطْهَر[٤]، فَقلتُ: لستُ أستريحُ إلاَّ بالماء الكثير، ثم عدنا إلى ما نحن بصدده من الحديث، فلم نشعرْ حتّى دخلَ علينا غبارٌ من أقرب الشبابيك إلى الأمير، فقامَ وقمتُ ثم أشرفنا من الشُّبَّاك إلى المناخ[٥]، وسأل غلامًا له في المناخ عن سبب الغبار، ثم لم يكنْ بأسرعَ من أنْ انتثرَ علينا غبارٌ وترابٌ من السَقف، فلم نَشُكّ في أنَّ المجلسَ انهدمَ فهممنا بالخروج فانهدمَ مِن تحتنا السقفُ الأسفلُ قبلَ الأعلَى، وهو آخر عهد بعضنا ببعض.

١- يوم الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ٦٨٢هـ ينظر: «تاريخ اليمن»، للحمزي، ص١١٤. وهو في «بهجة الزمن» الثامن عشر من الشهر المذكور، ص١٦٣، ويصادف يوم السبت العاشر من تموز سنة: ١٢٨٣م.
٢- الأمير: علم الدين سنجر الشعبي.
٣- مثالات: كُتُب.
٤- الشَّرْبَة: وعاء للماء كالكوز، والمَطْهَر: محل التطهر في البيت.
٥- ساحة القصر.

أمَّا أنا فأحكي عن نفسي أنَّ الروحَ منِّي تضايقَ، وتقاربَ خروجُه، وكانَ الهَدْمُ في أوّل الظهر، ثم وقفنا تحتَ الهدم إلى المغربِ، وأنا أتلو ما أحفَظُهُ من القرآنِ الكريم، وأدعو بما تيسر من الدعاء، وأتضرعُ إلى الله أشدَّ التضرُّع، ولم يبقَ في خاطري إلا الموت فلم أشعر إلا بضربِ المَفَارِس والمَسَاحي[1] فوق رأسي، غير أنَّ وَقْعَها بعيدٌ، وهو يقربُ قليلا، حتى فَتَشُوا[2] عن وجهي إلى رقبتي فذكرتُ الله سبحانه، وشَهَّدْتُ، فاستخبروني عن حالي، فأخبرتهم أني في خير وعافِية، ثم سألوني عن الأمير علم الدين فقلت: هو تحتي، واستمرَّ الحفرُ حتى أخرجوني من التراب، وأخرجوا الأميرَ عَلَمَ الدين، ولم يكنْ بيني وبينه [إلّا] قيد شبْرٍ، وقد وقعتْ على رأسه خشبة، وهي التي أهلكتْهُ مع قضاء الله، ثم أخرجوني على آخرِ رَمَقٍ، تارةً أفيقُ وتارةً يُغْشَى عليَّ، وأمّا صِنْوِي علي بن حاتم فإنه في عَرْضِ إشرافيٍ من الشُّبَّاك أحسَّ بالانهدام، فبادرَ بالهربِ إلى باب المجلِس، وهَمَّ بالخروج، ولَم يبقَ بينه وبين النجاة غيرَ خَطوة لا سوَى، فعاقَهُ المقدورُ والكتابُ المسطورُ، فهلكَ قريبًا من الباب، وحُفِرَ عليه إلى آخر الليلِ، وأُخرِجَ مَيِّتًا، وأمَّا القاضي عمر بن سعيد ومحمد بن بدر بن جحَّاف، فكانا على يمين الأمير مما يحاذي الباب، وكان الهدمُ هنالك أهون فسَلِمَ القاضي، وهلكَ محمد بن بدر. وأما أبو بكر بن عمار والمملوكان فأخرجوا من شرقي المجلس هالكين، ولم يسلمْ ممن كان ذلك اليوم عند الأمير غيري أنا والقاضي فالحمدُ لله الذي أنْسَأَ في الأجل»[3].

٢ – وصف دخول الأشرف صنعاء قادما من جهات صعدة:

قال محمد بن حاتم: «حطّ في الرحبة[4]... وحُشِدَت الجنودُ لدخوله [صنعاء]، فلم يُرَ يومٌ أعجب منه فِي الأيام، ولا آنق، ولا أبهَى، وأكثر جُموعا،

١- من آلات الحفر.
٢- كشفوا.
٣- «السمط»: ٥٣٨-٥٤٠.
٤- الرَّحَبَة إلى الشمال من صنعاء، فيها مطار صنعاء الدولي.

وخيلا ودُروعا. ولقد غُصَّتْ أبوابُ المدينة بالخلْق، وكان دخوله من باب النصر، ولما دخلَ من هذا الباب، وحاذَى القصر... فُرِشَ لحصانه نَسِيجُ الحريرِ المُعْلَم بالذهب، وحُثِيَ على الناس من سَطح القصر ما لا يُحصرُ من البيضاء والصفراء، ثم استمرَّ سائرًا إلى الدار السُّلطانيَة، فنزلَ باليُمنِ والسعادة، مؤيدًا منصورا. وجَذِلاً محبُورا... والثغورُ مُنْسَدَّة، والأمورُ مُنتَظِمة.

وفي عرض إقامته بصنعاءَ عادَ إلى خدمته كلُّ مَن كانَ نَفرَ... ثم دخل الناس أفواجًا، وتبادروا إلى خدمته فُرادا وأزواجًا، عقيب هذا الفتح المبين. ثم راسلَت الشرفاءُ في الصلح فرَأى المساعدةَ إلى الهدنة رفقًا بالخلق، ولكنْ بعد أنْ قضَى مأرَبَهُ من الحَرب، وكشفَ ديجورَ تلك الظلمة، ونفّس خِناقَ تلك الكربة عن الأمّة، فوَقَعَ الصلحُ على ما يرتضيه، وتمت الأشياء، وصاحت الصوائحُ في محروسة صنعاء بذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر جمادَى الأولى سنة سبع وثمانين وستمائة»[1].

٣- الأشرف واليا لصنعاء بعد أخيه المؤيد:

قال الأمير محمد بن حاتم: يصف طلوعه إلى صنعاء: «فاقتضت الآراءُ طُلُوعَ مَنْ لا يأفُلُ الخَطبُ إلاّ بطلوع غُرتِّه، ولا تخمدُ الحربُ إلاّ بوقودِ نارِ همَّته وعزمته؛ مولانا السلطان الملك الأشرف، فلمّا برزَ مِن اليمَنِ للطلوع، لم يبقَ مُؤَالِفٌ ولا مخالفٌ إلاّ وتاقَ إلى خدمته، وصبَا، ووثِقَ بالعُرفِ منه والحِبَا، وخشي مَصارِعَ السُّمْرِ والظُّبَا...[قال الشاعر]:[2]

أُعِيرَ مودَّاتِ القلوبِ[3] وأُعْطِيَتْ   يَدَاهُ على الأعداءِ نصرًا مُرَهَّبَا

١- «السمط»: ٥٥٤-٥٥٥. ويوم السبت يوافق هذا التاريخ ١٢ / ٠٦ / ١٢٨٨م.
٢- الأبيات للبحتري، ديوانه، تح: الصيرفي، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١ / ١٩٦.
٣- رواية الديوان (الصدور).

إذا ماتلظَّى في وغىً[١] أصْعَقَ العِدَى وإنْ فاضَ في أُكْرُومَةٍ غَمَرَ الرُّبَا

وَفُورٌ إذا ما القومُ جَفَّتْ حُلوقُهُمْ[٢] وقــورٌ إذا ما حادثُ الدهْرِ أَجْلَبا

حياتُكَ أنْ يلقاكَ بالجُـودِ راضِـيًا ومَوتُـكَ أنْ يلـقاكَ بالناسِ مُغْضَبا

ثم حطَّ مخيمه المنصور بذمار، وكانتْ أعمالها يومئذ مختلَّة، وبيد الفساد معتلَّة، فصلح ذلك الاختلال، وصح داء ذلك الاعتلال، وانتظم أمر ذلك الإقليم، بحُسنِ رأيه المستقيم... ثم نهضَ إلى البَطحة [قرب صنعاء]، ولم تكد تستقر مضاربه السعيدة بها، حتى مَثُلَ ببابه الشريف الكافة، من الأمراء الشهابيين، غير طالبين أكيد ذمة، ولا خائفِين انتهاك حرمة، بل مُعَوِّلِينَ على ما يعرفون من كرمه، وملتجئين إلى ما يألفون من حسن عواطفه وشيمه، فلم يصادفوا إلاّ كرمًا وفضلا، وعفوا ونبلا، ومُلْكًا ونُحْلا، يعطي عطاءً جزلا. أحق الناس بقول دَهْبَل الـجُمَحيّ حيث يقول[٣]:

ما زلتَ في العفو للذنوب وإطـ ـلاقِ لِعَانٍ بجُرْمـهِ غَـلِقِ

حتى تَمَنَّى البُـرَاةُ أنَّـــهُمُ عندكَ أضحوْا في القيدِ والحِلَقِ

وكأن السـري عَناه بقوله حيث يقول[٤]:

تلك المكـارمُ لا أرَى مُتَأَخِّرًا أوْلَى بِـها مِنهُ ولا مُتَقَدِّمَا

عفوٌ أظلَّ ذَوِي الجرائمِ كلَّهُمْ حتَّى لقد حَسدَ المُطِيعُ المُجْرِمَا

١- الوَغَى: غَمْغَمةُ المقاتلين في حَوْمة الحَرْب. والحَرْبُ نَفْسُها.
٢- رواية الديوان: (رزِينٌ إذَا ما القوَم خفّتْ حُلومهم).
٣- ديوان أبي دَهْبَل الجمحي، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، العراق، النجف، مطبعة القضاء، ١٩٧٢ / ، ص٤٧.
٤- ديوان السري الرفاء، شرح كرم البستاني، بيروت دار صادر، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٠٠.

ثم وصل [أهلُ] المشرق قاطبة، ونهض [الأشرف] فدخل صنعاء سنة ٦٩٣هـ... ولم يتمالك عرب البلاد أنْ مثلتْ إلى خدمته من شامخات الأطواد ومطمسات الوهاد... وأظلَّ عيد النحر المبارك والخلقُ على بابه من أعراب وأشراف وعَجَم، فخرجَ إلى الميدان في العساكر المحشودة، والمقانب المعقودةً[1]... ثم انكفأ إلى المصلى على أفخم حالة، وأعلى شأن، وأعظم سلطان، فلله درُّ أبي عبادةْ[2]، كأنما عناه بقوله وأراده[3]:

أظهرتَ عِزَّ المُلْكِ فيه بجَحْفَلٍ ... لَجِبٍ يُحَاطُ الدِّينُ فيه ويُنصَرُ

خِلْنا الجبالَ تسيرُ فيه وقد غَدَتْ ... عُددًا يسيرُ بها العديدُ الأكثرُ

فالخيلُ تَصْهَلُ والفَوَارِسُ تدَّعِي ... والبِيضُ تلْمَعُ والأسِنَّةُ تزْهرُ

يَفْتَنُّ فيكَ الناظرونَ فإصْبعٌ ... يُومَا إليكَ بها وعَينٌ تَنْظرُ»[4].

٣- تنصيبُ الأشرف مَلِكًا:

وكتب الأمير بدر الدين محمد بن حاتم في تنصيب الأشرف ملكا على اليمن قال:

«... ووافاه من كرم والده مولانا السلطان الملك المظفر ما سنورده: وأوردَهُ من تكرُّمه عليه، وتطوُّله بما صار إليه، ما عَذُبَ وِرْدُه، وهو أنَّ آراءَهُ الصائبةَ اقتضتْ اختصاصَ مولانا السلطان الملك الأشرف، وإيثاره بالمُلْكِ العظيم، وتمكينه من أزِمَّةِ الأمرِ القويم، وتشريفه بالذكر السَّنِي على فروق المنابر، وتكرّمه بالنصر... على رؤوس العشائر، في المحافل والمحاضر، وخروجَ التقليدُ الكريمُ

١- المقْنَب: جماعة الخيل والرسان، لسان العرب (قنب).
٢- أبَو عبادة: هو الوليد بن عبيد المشهور بالبحتري، (ت ٢٨٤هـ).
٣- الأبيات في ديوان البحتري: ٢ / ١٠٧١-١٠٧٢.
٤- ينظر: السمط، ص٥٦٢ وما بعدها.

له بمشْهد من الملوك والعظماء، ومحفلٍ من الجحافل الكرماء، وشهودٍ من القضاة الجلّة والعلماء، فعَقدَ له على المُلك، ونَظَمَ له مُفتَرِّقَه في السِّلْك، وقال: هذا وليُّ عهدي، وصاحبُ أمري في جُنْدي، ووارثُه بعدي، وجمع اسمَه معه في الخطَبَةِ والسِّكَّة، ولم ينصَّ عليه بالمساهمةِ والشِّرْكَة، وكان التقليد الكريم بالدار الكريمة بـ(ثُعَبَات)[١] في أول جماد الأولى سنة (٦٩٤هـ) أربع وتسعين وستمائة[٢].

فلله ذاك اليومُ كمْ مُقْلةٍ بـهِ أُقِرَّتْ وكم عينٍ بهِ أُسْخِنَتْ بُغْضَا

أبـانَ أناسٌ فيه مَكْنونَ حِقْدِهمْ وأُنِّسَهُ منهمْ ولكنّه أغْضَى

(... إلى آخر الأبيات)[٣]

ثم انضافتِ الأوامرُ والنواهي، والحلُّ والعقد، والبسطُ والقبض، في البر والبحر والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغور، وتدبيرُ الحروبِ وتجهيزُ العساكر، إلى مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف... وبعثَ الأوامِرَ إلى سائرِ البلاد، وشاعَ ملكُه في كلِّ حاضرٍ وباد، وأُشْرِبَتْ قلوبُ الأولياءِ بولايته حبًّا، وملِئَتْ قلوبُ الأعداءِ خوفًا ورعبا، وفرضَ العدلَ وسَنَّه، ودانتْ له القبائل وانقادتَ لأوامِرِه مُسْتَكِنَّة»[٤].

رابعًا: الدراسة:

١- الملامح الموضوعية والفنية فيما بقي من شعره:

حصلنا بعد البحث والتدقيق في المصادر المتاحة على أجزاء من قصيدتين وثلاث قطعٍ من شعر الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، تشتمل على ٣٦ بيتًا، وقد

١- ثعبات اليوم حيٌّ في أعالي مدينة تعز على سفح جبل صبر، وكانت فيها قصور ملوك الدولة الرسولية.
٢- وافق ذلك يوم السبت ١٩ / ٣ / ١٢٩٥م.
٣- السمط: ٥٦٦.
٤- نفسه: ٥٦٥-٥٦٧.

تتبعنا مصادر تخريجها وحققناها وضبطناها، وتأملنا دلالاتها، ورأينا أنّها تشير إلى أنّ هذا الأميرَ الفارسَ والأديب المؤرخ كان يمارسُ قولَ الشعر، وربما كان يبادرُ إلى قوله في مناسبات كثيرة، ونحسبُ أنه كان قد قال شعرًا كثيرًا، لكن أكثره ضاع فيما ضاع من شعر أهل اليمن في مختلف العصور، لأسباب من أبرزها؛ بُعد اليمن عن مراكز الثقافة العربية في العراق والشام ومصر... ثم ما في طبيعة اليمن من تضاريسها الخشنة، وما في أهلها من استنقاص لما يقولون أو ينشؤون من سائر الفنون الأدبية... وما يكون بينهم من اختلافٍ طفيف في التوجهات الفكرية والمذاهب الدينية ومع هذا يؤثر في حياتهم ويؤدي إلى الصراع بينهم، والغض من المحاسن..!

ومع هذا فما بقي من شعر هذا الأمير يتّسم بالرصانة اللغوية والمحاسن الجمالية ونرصد منها ما يأتي:

أ- اللغة:

- لغة الأمير محمد بن حاتم صافية متينة، ونظرة إلى قطعته الشعرية (ق٢) وقوامها بيتان بقيا من قصيدة له كتبها إلى أهله المنقلبين عليه في حصن ذي مرمر، وفيها يذكر عقول القوم (حُلُومُكُمُ الشُّمُّ رَوَاسٍ)، فقال حلوم جمع حِلْم، وهي كلمة تدل على قوة الإدراك والفطنة وحسن التصرف، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود٧٥] فشبه عقولهم بالجبال الرواسي، ورسوّ الجبال يعني الثبات بخلاف التأرجح والاهتزاز والتغير.
- وفي القطعة (ق٣) -وهي خمسة أبيات- يشير الشاعر إلى فرحة الموالين للأشرف عندما انتقل المُلْكُ إليه سنة ٦٩٤هـ، ويقابل الفرحةَ انزعاجُ الذين ينكرون ذلك، ومنهم أخوه المؤيد. وفي (ب١) منها يتمدّح الشاعر يومَ تقليد الأشرف الملك، فيقول: (كمْ مُقلَةٍ به أَقِرّتْ، وكمْ عينٍ به أُسْخِنت بُغْضا)،

فرادف فيها بين المقلة والعين، وجعل القرار لمقلة الراضي، والسخونة لعين الساخط، وهما كنايتان عن سعادة الطرف الأول، وسخط الثاني، وطابق بين أُقرَّت وأُسخِنت، مع بناء الفعلين للمجهول، وهذه لمسة لغوية لطيفة، ومن البيان ما يكون بترك الذِّكر والميل للحذف والإيجاز.

- وفي القطعة (ق٤) يبارك للأشرف ما حاز من النصر، وفيها تقل الكلمات الجزلة الغريبة، ومن قليلها: «سَقَتْهُ السلافَ الصَّرْخَدِيَّ المُشعشعا» أرادَ بالسلاف الخمر والصرخدي المنسوب إلى (صَرْخَد) بلدة في الشام[1].

- وفي القصيدة (ق٥) وهي في مدح الملك المظفر، وكانت قصيدة طويلة، لم يُبقِ منها بعض المؤرخين إلا ١٧ بيتًا[2]، وفيها تنتشر كلمات جزلة ورصينة، في صفات الممدوح، فهو في (ب١) «عَقيدُ الأعلام»، يعقدها بقراراته لقادة جيشة، ومن يعملون في خدمته، وهو المؤلف المصنَف للكتب، وفي (ب٣) هو «أغْلَبُ راضَها بالسيف»، والأغلب الأسد، وفي (ب٤) «خَيْلُه كالطير للمُهَجِ الكرائم تخطَفُ»، فاستخدم المهج وهي الأرواح. وفي (ب٥) قال: إن رجَاله «ترمي العِدَى بِشُوَاظِ كلِّ مُثقَّف» أي برماح تنزلق مشتعلة بلهيب نارٍ بلا دُخان، وفي (ب٦) «ما بقيت لِغيٍّ هامة»، أي ما بقي رأس فيه غواية وظُلم وبغي، وفي (ب٧) هو «لا يفوتُ عليه نَيْلُ مرامِه» إنه يدرك مطلبه أينما كان، وفي (ب٩) «ومن الملوك الصِّيدِ تحت لوائه فريقٌ، وفريق آخر في حديدٍ ترسفُ» لقد غلب الملوك وجمعهم في طاعته، ومَن عصاه منهم قاده إلى الطاعة قهرا، أو أسره فقيده وسجنه». وفي (ب١٢) يستخدم في قافية البيت كلمة: «تُحْصَفُ» من الحَصْف بمعنى الإقصاء والإبعاد، كما في القاموس المحيط وهو استخدام قليل؛ لأنّ المشهور من معاني الكلمة

١- ينظر: هامش الصفحة التي ورد فيه البيت ضمن القصيدة سابقًا.
٢- ينظر: تخريج القصيدة في هامش صفحة أوردناها سابقًا.

الحَصَافة: ثخانة العقل.

أ– الصورة الشعرية:

١– التشبيه:

- في (ق٢) ب٢ قوله:

يابَني حاتمٍ حلُومُكُمُ الشُّمُّ رَوَاسٍ واليومَ كادتْ تطيرُ

يبرز التشبيه البليغ في جعل عقول قومه قبل الفتنة راسخة كالجبال الراسية، لا تميل مع الهوى، فلما ابتلوا بالفتنة انقلب شأنها بحسب رأيه، فخفّت حتى غدت من خفتها تكاد تطير.

- في ق(٤) ب١ قوله: (قابلتْ طلُوعَكَ فينا أنجمُ اليُمْن طلّعا)؛ فشبه ظهور الأشرف عليهم بظهور النجوم التي يصادف وقتَ ظهورها نزولُ الغيث وزيادة الخير.

- وفي ب٣ يرى أن أوبة الأشرف

تَهُزُّ المُوالي نشوة فكأنما سقته السلافَ الصرخديّ المشعشعا

أي أنّ السعادة والنشوة تملأ قلوب الموالين لهذا الأمير الرسولي، فيطربون لعودته التي تعني عندهم عودة السعادة بالعطايا التي فيها الغنى، كما يهتز من به نشوة الشراب الممزوج بالماء والثلج.

- في ق(٥) ب٤ قوله:

إذ أصبحتْ ببقاعِ حَرْيَمَ[1] خيلُهُ كالطير للمُهَجِ الكرائمِ تَخْطفُ

١– في العسجد "حديم".

شبه خيل المظفر وهي في أقصى شرق اليمن، تعيد بعض الخارجين إلى الطاعة بالطير التي تتخطف فرائسها من الأرض، وفرائسها هنا أرواح الخارجين عن طاعة الملك المظفر، وجعل تلك الأرواح كريمةً لأنها لرجال يضعون أنفسهم موضع المنافس على المُلك.

- في ب٨ قوله:

هـو في الأباعدِ كالأقاربِ حاضرٌ كالشمسِ مِن كلِّ المطالعِ تُشْرِفُ

يشبه الشاعر حضور السلطان المظفر بين الناس في أرجاء اليمن، وإشرافه على كل أمور الدولة حتى لا يفوته كبير من الأمر ولا صغير بحضور الشمس وارتفاعها المطل على كل أنحاء البلاد.

- وفي ب١٠و١١ يبني الشاعر تشبيها يصور فيه دخول ظفار في ملك المظفر، فيرى أن ضم ذلك الإقليم ليس بالشيء الكبير إذا قورن بملكه الواسع الممتد على اليمن الكبير، وكذا سعة هباته التي شُبِّهت بما يغرفه الغارف من البحر، لا ينقص منه شيء يذكر.

٢- الاستعارة والمجاز المرسل:

تتضافر الصور المجازية من مجاز مرسل واستعارة وكناية لتبرز قدرة الشاعر الأمير محمد بن حاتم؛ كما في قوله في (ق٤)، في ب٢ و٣:

وأهـلا بها مـن أوبـةٍ أشْـرفِـيّـةٍ تروقُ جميعَ الناسِ مرأًى ومسمعَا

تَـهُـزُّ الـمُـوالِـي نشوةٌ فـكأنَّـما سقتْه السلافَ الصَّرَخديَّ الـمُشعشعَا

فالشاعر يرحب بالأوبة وهي العودة، ومراده الترحيب بصاحبها وفاعلها الأمير الأشرف، ويجعل تلك الأوبة تروق الموالين وغيرهم، وذلك بقوله: جميع

الناس، والذي يروقهم هو ما يرونه من فخامة الهيئة والهيبة والحزم وحسن السمعة ووفرة الهبات، وفي قوله: «تهزُّ الموالي نشوة» استعار للأوبة قوة اليد الهزازة، وجعل الهزّ من النشوة والطرب الذي غمرتهم به الفرحة.

- وفي ب٥ و٦ يقول:

وفجّرتَ من كلتا يديكَ مواهِبًا نعشتَ بها أنصاركَ اليومَ أجمعَا

ومزَّقتَ شملا من عُداةٍ تألَّبوا وجرعْتَهم من بأسِكَ السُّمَّ مُنْقَعَا

ففي قوله: «فجّرتَ من كلتا يديك مواهبًا»، استعارةٌ جعلَ فيها المواهب تتدفق من يديه تدفُّقَ عيون الماء الغزيرة، التي تشبع ظمأ كل متعطش للرِّيّ. وفي قوله: «مزَّقتَ شملا من عداة تألَّبوا» استعار التمزيق وهو للثوب وما شابهه وجعله لاجتماع أعدائه.

٣- الكناية:

لا تخفى الكناية في شعر محمد بن حاتم، ففي (ق٤) ب٦ يجعل الشاعر قوله: «وجرعْتَهم من بأسِكَ السُّمَّ مُنْقَعَا» كناية عن انتصاره على أعدائه وكسرهم، وذهابهم بالغيظ والهزيمة، التي كانت عليهم كالسم الزعاف.

- وفي قوله في ب٧:

وقد جَهَدوا أنْ يغنموا لك فرصةً وأنْ يجدوا شيئًا لديكَ مُضَيَّعَا

كناية عن حزم الممدوح وحسن تصرفه في محاربة أعدائه والتضييق عليهم، مع اجتهادهم في أن يجدوا ثغرة تمكنهم من كشف كربتهم؛ لأنه سدّ في وجوههم كل المنافذ وألجأهم إلى الاستسلام.

- وفي (ق٣) في ب١ يقول:

فللَّه ذاكَ اليوم كـمْ مُقلَةٍ بهِ أُقِرَّتْ وكمْ عينٍ بهِ أُسْخِنَتْ بُغْضَا

فقوله «ذاك اليوم» إشارة إلى يوم تحويل المُلك من المَلك المظفر إلى ولده الأشرف، ويسوق «كم الخبرية» الدالة على الكثرة ويذكر بعدها المُقَلَ التي أقرتْ رضًى، والعيون التي أسخنت، فجعلَ قرارَ المقل كنايةً عن الرضى والسعادة بذلك الحدث، وسخونة عيون الجانب الآخر كناية عن التضرر والحزن من ذلك حدَ البكاء المرير.

ب– البنى الصوتية والمحسنات البديعية:

١- الوزن: ورد ما بقِيَ من شعر محمد بن حاتم، على الأوزان الآتية:

- الطويل ١٧ سبعة عشر بيتًا وهي في: (ق٤) ١٠ عشرة أبيات، و(ق٣) ٥ خمسة أبيات، و(ق١) بيتان.
- الكامل ١٧سبعة عشر بيتًا، وتمثله (ق٥).
- الخفيف ٢ بيتان (ق٢).

٢- القافية: قوافي ما بقي من قصائده وقطعه مُطلقةٌ موصولةُ الرَّوِيّ، تُمكِّنُ من مَدِّ الصوت عند الإنشاد، وقد تنوع حرف الروي؛ فـ(ق١) على رويِّ الباء، و(ق٢) على الراء، و(ق٣) على الضاد وهذا الحرف من الحروف التي قلّ اتخاذها رويًّا في الشعر العربي، و(ق٤) على رويِّ العين، و(ق٥) على حرف الفاء.

٣- الجناس: ومنه الجناس الذي لا يكاد يلمح من حسن خفته، ما ورد في (ق٥) ب٣ من قوله في الممدوح أنه: «لم يزل للحق ينصف والأعادي ينسف» ففي

«ينصف» و«ينسف» جناس ناقص.

٤- الردُّ أو عودة الأعجاز على الصدور:

وعنده ترى سلاسة عودة أواخر الكلام على ما تقدمها، كما في (ق٥) ب٥:

ترمي العِدَى بشُواظِ كلِّ مُثَـقَّفٍ فِـيه لِـمُعْـوجِّ الطغاة مُـثَـقِّـفُ

حيث أعاد كلمة «مُثَقِّفُ» وهي اسم فاعل من ثَقَّف المتعدي، أي قطع الزوائد من ساق الشجر التي تمنع الانسيابية والسلاسة، وجعلها الشاعر لطبع الشخص، فتجعله مهذبًا حسن الصبر والتعامل، يتسم باللين والتسامح.

٥- المقابلة والترادف في البيت السابق: فالمقابلة بين «أُقِرَّتْ وأُسْخِنَتْ»، أما الترادف فبين «مُـقْـلَةٍ وعَيْنٍ».

ج- الأساليب:

- استخدم الشاعر في (ق٢) أسلوبَ التمني وأسلوب الاستفهام، والغرض منهما التعجب مما حصل من قومه في حصنهم الشامخ من فساد ذات البين، والتعرض غير المحسوب لسلطة الدولة القوية، التي سلبتهم حصن (ذي مرمر) الذي كان من أعظم أسباب مَنَعَتِهم.
- وفي (ق٣) طوّع الشاعرُ أسلوبِه في وصف واقعةِ نَقْلِ المُلك إلى الأشرف لِمَا كان يشعرُ به من فرحة الأولياء وسخط الخصوم، وتوسل بالموازنة بين حال الفريقين، وتشفّى لفريقه ولمز خصومه.
- وفي (ق٤) وصفَ الشاعر الأشرف لـمّا عاد من صعدة ظافرًا، بتعبيرات أكثرها مباشرة تستغرق القصيدة.
- وفي (ق٥) يمدح الملك المظفر فيوظف أسلوب الأمر: فاسأل به الأعلامَ...

والعلمَ... واسأل شبامَ... ويزاوج الأمر بالاستفهام، لغرض التنبيه إلى المكانة العالية للممدوح؛ وذلك في (ب١-٣)، ثم أخذ في سرد خبر انتشار جيش المظفر في المنطقة الشرقية القُصوَى من اليمن، (ب٤-١٧) ويتوج هذا المعنى بقوله:

(هو في الأباعد كالأقارب حاضرٌ كالشمس من كل المطالع تشرف)

وبهذه السيطرة والبروز يرى ممدوحه لا يغيب عن خصومه ولا أتباعه أينما كانوا، وهو الذي جمع أمراء البلاد وأقاليمها تحت لوائه، سهولها وجبالها الشواهق، وحصونها المنيعة، وهو صاحب النعم الجمّة.

د- التناص:

سبق الإشارة إلى ثقافة أديبنا الواسعة التي تجلت في النماذج المختارة من نثره، ورأينا ما له من محفوظات الشعر العربي، وإلمامه بأحداث التاريخ وبجغرافية الأماكن، وبحكمة الأولين، وفوق ذلك ما يقتبسه من القرآن الكريم، كما في قوله في (ق٢) ب٢ قوله:

«ليتَ شِعري مِن عِلْمِ خَطْبٍ أتاني هـو حَـقٌّ أمْ زاغَ فـيه الخَبـيرُ»

ضَمّن الشاعر بيته هذا ما أنكره من طيش قومه في فتنتهم، وهم من ذوي الأحلام الراجحة، وجعل إنكاره على صيغة سؤال يبتدئ بهمزة الاستفهام المقدرة في أول الشطر الثاني من البيت، (أهو خبرٌ صادقٌ أم زاغ عن صحته المُخبرُ الذي أوصله؟ ويقربُ القول إنه اقتبس (أم زاغ) من الآية القرآنية الكريمة: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [ص:٦٣].

- وفي (ق٣) ب٥ قوله:

فأقسِمُ ما شخصٌ أطاعَ إلَـهَهُ إذا هو لمْ يَرْضَ الذي ربُّـهُ يَرْضَى

في هذا البيت يقسم أن طاعة الإله تكون بما يرضى إلهه من أعماله، ويجوز أن يكون الشاعر قد صدر عن طرح هذا المعنى متأثرًا بما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٦].

ونلمح تأثُّرَهُ خُطَى الشعراء في شعرهم الذي يحفظه، فينشئ قصيدته على وزن قصيدة أحدهم وقافيتها، وتمتد عينه إلى بيت أو بيتين من تلك القصيدة فيضمنهما قصيدته؛ كما هو الحال مع البيتين ٩ و١٠ من (ق٤):

(وما أحْجَمَ الأعداءُ عنك بقيَّةً عليكَ ولكنْ لمْ يروا فيكَ مَطمَعَا

رأوا مَلِكًا في كفِّهِ الحَتْفُ والغِنَى أَبَى اللهُ إلّا أنْ يَضُرَّ ويَنْفَعَا)

والبيتان من قصيدة لمروان بن أبي حفصة (١٠٥-١٨٢هـ)[١]، قالها لما دخل صنعاء اليمن، في مدح مَعْن بن زائدة الشيباني والي اليمن لأبي جعفر المنصور العباسي خلال (١٤٢-١٤٨هـ)[٢]، وحولهما محمد بن حاتم لمدوحه، فجعله أعلَى شأنا ومرتبة، بوصفه ابن السلطان المظفر والسلطان القادم بعد أبيه.

- وفي (ق٥) ب٨ يقول ابن حاتم:

هـو في الأباعدِ كالأقاربِ حاضرٌ كالشمسِ مِن كلِّ المطالعِ تُشْرِفُ

- وفي البيت يلتمس من قول ابن الرومي:

١- ينظر: "شعر مروان بن أبي حفصة"، ص٦٣-٦٤.
٢- ينظر: "قرة العيون"، ٩٣-٩٤.

كالشمس في كبد السماء محلّها وشعاعُها في سائر الآفـاقِ[١]

كل هذا التأثر والتفاعل مع النصوص العالية يشير إلى سعة الأفق الثقافي لهذا الأديب الحاتمي.

٢- الملامح الموضوعية والفنية في نثره:

ظهر النثر الفنّي في اليمن منذ القرن الثاني الهجري، وكان لظهوره ارتباط بالكتابة الديوانية لولاية اليمن في الدولتين الأموية والعباسية، وبرز في صنعاء كُتّاب مُجيدون، قال مؤلف «صفة جزيرة العرب»: «ولم يزلْ فيها من كَتَبَةِ الديوان بلغاءُ غيرُ مُوَلَّدِي الكلام، ولا مُسْتَخَفِّي المعاني، ومُبْعدي الاستعارات؛ مثل بني أبي رجاء وغيرهم، وكانَ بِشْرُ بن أبي كبار البَلَوي من أَبلغ الناس، وكانتْ بلاغتُه تتهادَى في البلاد، وكانَ له فيها مَأْخذٌ لم يسبقه إليه أحدٌ، ولم يُلْحَق فيه»[٢]، وكان هذا الكاتب البليغ قد كتبَ الرسائلَ لولاةِ الدولة العباسية الأوائل في اليمن في عهد المنصور والمهدي والرشيد، وكتب إليهم ينصحهم، ويسخر من بعضهم ويمقتهم، وقد جَمعت وداد القاضي رسائلَه ودرستها[٣]. وظلت صنعاء موطنًا تزدهر فيه الثقافة وتُحمَلُ إليه الكتب ودواوين الشعراء وتنسخ ويبتاعها القُرّاء، كما مرت منها قوافل العلماء والأمراء والكتاب والشعراء، حتى جاء عهد هذا الأمير محمد بن حاتم الهمْداني في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فكتبَ التاريخ وكان يسلسل الأحداث في كتابه «السمط الغالي الثمن» بلغةِ الواصف المدقق، فإذا استخفَّه الطربُ لتنميقِ العبارة رأيناه يُجوِّدُها ويتفنن في صناعتها، كما في النماذج التي اخترناها من نثره، وأنشأ الشعر فسجل مشاعره

١- ديوان ابن الرومي، تح: حسين نصار، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، ٢٠٠٣، ٤ / ١٦٦٦.
٢- الهمداني الحسن بن أحمد (٢٨٠-٣٤٤هـ)، "صفة جزيرة العرب"، تحقيق محمد الأكوع، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٩٩٠م، ص١٠٧.
٣- وداد القاضي، "بشر بن أبي كبار البلوي نموذج من النثر المبكر في اليمن"، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٥، ينظر ص٨٧ وما بعدها.

نحو هذا الحدث أو ذاك، وسنقف مع ما اخترنا من نثره وما بقي لنا من شعره، لنبين ملامح الفنين. وفيما يأتي نبدأ بوقفات مع نثره:

- النموذج الأول: (خبر تهدم القصر):

أكلَ حشدٌ من الناس طعامَ الغداء في قصر الوالي بصنعاء، وقضوا حوائجهم من عنده وخرجوا، ثم تهدم القصر فوق من بقي فيه، وعددهم ثمانية نفر، هلك منهم ستةٌ تحت الهدم، وأُخرِجَ اثنان سالمين، هما أديبنا الأمير بدر الدين محمد بن حاتم الهمداني كاتب الخبر، والقاضي عُمر بن سعيد الربيعي[1].

- أسلوب سرد الخبر:

سرد الكاتب الخبر في كتابه «السمط» بطريقة مُحايدة فنّيا، إذ ساقه على شاكلة ما ساق من الأخبار التاريخية في الكتاب، ولم يلجأ إلى العدول نحو العبارة الأدبية الصاعدة في سُلّم الخيال؛ وذلك لأنّ الموقف موقف تجربة موت لم تتم بالنسبة له، تجربة لا يستدعِي مبالغةً ولا تهويلاً، ولا تطريبًا ولا تعجيبًا، وإنما استدعت من الصدق في وصف ما حدثَ من هول مشهد الموت؛ ولذلك لم يبرز في الخبر من البديع غير ومضات خفيفة، كإخباره عن سبق قدر الموت إلى أخيه، قال: «ولم يبقَ بينه وبين النجاة غير خطوة، فعاقه المقدور، والكتاب المسطور» فسجع في نهاية الكلمتين: (المقدور والمسطور)، قاصدًا من السجعة إلى تعزز اليقين الإيماني الذي يرضي المتلقي بما حدث لأخيه.

أما لماذا أوردنا الخبر بين النماذج المختارة؟ فلأنه يشخِّص تمكُّن الكاتب من كتابة خبر على شكل قصة قصيرة دقيقة الحبك، ومثيرة الدلالة، وحسبها بهذا أنْ تكون فنًّا جميلا.

١- ترجمته في العقود اللؤلؤية، ينظر: تحقيق بسيوني وتعليق الأكوع، ١/ ٢٠٦-٢٠٧.

١ - ملامح الجمال والكتابة الفنية:

أمّا بقية النصوص المختارة من نثر الأمير بدر الدين محمد بن حاتم مما أثبتناه في النماذج (٢-٣-٤)؛ فأبرز ما يُلحظ فيها اشتغال المنشئ بالصنعة الفنية، ولاسيما عندما يكتب عن الرجل الثاني في الدولة الرسولية؛ وهو الأمير الأشرف، وكان الأشرف يقود جيوش الدولة في آخر عهد والده الملك المظفر، ويقوم باستعادة الحصون، التي كان يستولي عليها الأشراف ما بين صنعاء وصعدة، وكانت هذه هي منطقة عمليات كاتبنا الفارس الأديب الأمير محمد بن حاتم الهمداني، الذي كان شديد الولاء للملك المظفر وابنه هذا، ونحسب أنّه كان يرى في الأشرف صورةً من أبيه الملكِ المظفر نجابةً وسخاء وإقدامًا وحُسْن رأي وتدبير، وكان الأشرف قد تولّى المَلكَ قُبيل وفاة أبيه فعلا، لكنه لم يستمر في الحُكم إلا سنة وسبعة أشهر، حتى وافاه الأجل في أول سنة ٦٩٦هـ[١].

كان الأمير محمد بن حاتم قد أكمَل كتاب «السمط» على ما يبدو بعد تولي الأشرف الملك فهو يردّد له الدعاء بقوله: (خلّد الله ملْكَه)، وربما كان يستعد لجمع أخباره وتصنيف سيرته كما فعل مع والده الملك المظفر.

كان الكاتبَ ابن حاتم في النصوص المختارة من نثره (٢-٣-٤) يلحُّ على تصوير الحدث، وعلى جعل الجملة تحفل بأحاسيسه الجياشة، خلافًا لما صنعَ في خبر تهدم القصر، أمّا هاهنا فإنّه يعمد إلى تمكين القارئ من خوضِ تجربة تقويم نصِّه بما يطرحه بين يديه من خصائص أسلوبية في النصوص، تكشفُ عن مقدرته الأدبية؛ ذلك لأنّ «مرجعَ جَمالِ الكلام يستوي في النصّ لا خارجه، وبأنّ العملية الأدبية تحويلٌ لا حكاية»[٢]، ولذا فإننا نحتاجُ عند تحليل هذه النصوص إلى النظر فيما يجعلها أدبية، من حيث البناء الفني، وأنْ نكشفَ عن جمالياتها التي عمدَ الأديب

١- ينظر: "بهجة الزمن": ص١٧٦.
٢- ينظر: الطرابلسي محمد الهادي، "تحاليل أسلوبية"، تونس، عالم الكتب، ط ٢٠٠٦م، ص١٥٧.

محمد بن حاتم إلى تحسينها بها، كي تحمل مُثيراتٍ يشعر بها المتلقي، مما لم يكن بارزًا في كثير الأخبار كتابه «السمط»؛ لأنه في النصوص الثلاثة وما يشبهها -وهو قليل في الكتاب- ليس بمعزلٍ عن القصدية التصنُّعية التي عملت على توجيه الكلام وجهةً فنية؛ ذلك لأنّ الاستعمال اللغوي بحسب قصدية الكلام ليس إبراز منطوق لغوي فقط، وإنما هو إنجازٌ فني ومؤثر اجتماعي في آن، ففي أثناء إنجاز حدثٍ فني ما فإنه يكون لدى الفنان هدف (استراتيجي) محدد، أو نية معينة، ويفترضُ أنّ للأحداث نية وقصدا عامين plan يربطان مسار الأحداث الجزئية المختلفة فيما بينها بالنتيجة النهائية التي يجب أنْ تتحقق(١)، ومن أبرز ما تلمسه في النصوص المختارة أنها توحي بأن الكاتب عندما يذكر الأشرف يدخل في حالة طربٍ وانجذاب ما، لا يسوغه غير الربط بين المتكلم عنه والحاجات النفسية للمتكلم، وستكشف لنا المحسنات الواردة في النصوص عن ذلك، وعلى النحو الآتي:

- التوقيع والتنغيم عبر السجع: إذ يتحول ذلك التنغيم بالسجع إلى جزء من لُحمة الكلام المُطْرِب الذي يستدعي به الأديب الأمير محمد بن حاتم الاهتمامَ والإصغاء، فيبثُّ ما يدور في صدره من قصدية الإعجاب بمَن يكتب عنه ويشيد به، ويظهر الوُدّ له ربما عن صدقٍ، لِمَا رأى من فروق في السجايا بينه وبين أخيه المؤيد الذي ينافسه على وراثة الملك، وما كان إلا لما لاحظه من فضاضة المؤيد -وقد تعرضنا لها سابقًا- ولطف سجايا الأشرف، وقربه من مطالب الناس، وما له من محاسن التدبير للشؤون العامة، وعن رغبةٍ في نفس المنشئ لأن يتقدم ممَن هو أصلح في نظره، وبهدف الحصول على غاياتٍ أخرى منها الطمع بالزيادة في التقريب والحصول على الهِبات، ولذلك انتشرت محسنات بناء النص في كلّ عبارةٍ تتحرّى الإشادة، على حدّ ما سنرى في الآتي:

١- ينظر: د. حسام أحمد فرج، "نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري"، القاهرة، مكتبة الآداب،ط١، ٢٠٠٧، ص٤٨.

- النموذج (٢) قال في الاحتفاء بوصول الأشرف إلى صنعاء:

يبرز السجع مضيفًا لونًا من الإيقاع الصوتي فيما يأتي:

«فلمْ يُرَ يومٌ أعجبَ منه في الأيام، ولا آنقَ، ولا أبهَى،

وأكثرَ جُموعا،

وخَيلا ودُروعا،

وكان دخوله من باب النصر،

ولما دخلَ من هذا الباب، وحاذَى القصر،

نزلَ باليُمنِ والسعادة، مؤيدًا منصورا،

وجَذِلاً محبُورا،

ثم دخل الناس أفواجا،

وتبادروا إلى خدمته فُرادًا وأزواجا،

وكشفَ ديجورَ تلك الظلمة،

ونفّس خِناقَ تلك الكربة عن الأمّة»

- النموذج (٣) في عودة الأشرف إلى ولاية صنعاء:

فاقتضتِ الآراءُ طُلُوعَ مَنْ لا يأفُلُ الخَطبُ إلاّ بطلوعِ غُـرَّتِـه،

ولا تجمدُ الحربُ إلاّ بوقودِ نارِ هِمَّتِه وعزمته،

فلمّا برزَ مِن اليمَنِ للطلوع، لمْ يبقَ مُؤَالِفٌ ولا مُخالِفٌ،

إلاّ وتاقَ إلى خدمته وصبَا،

ووثِقَ بالعُرفِ منه والحِبَا،

وخشي مَصارِعَ السُّمْرِ والظُّبَا،

ثم حطَّ مخيمه المنصور بذمار،

وكانتْ أعمالها يومئذ مختلَّة،

وبيد الفساد معتلَّة،

فصلح ذلك الاختلال،

وصح داء ذلك الاعتلال،

وانتظم أمرُ ذلك الإقليم،

بحُسنِ رأيه المستقيم،

ولم تكد تستقر مضاربه السعيدة حتى مَثُلَ ببابه الشريف الكافة، من الأمراء الشهابيين،

غير طالبين أكيد ذمة،

ولا خائفِين انتهاك حرمة،

بل مُعَوِّلِينَ على ما يعرفون من كرمه،

وملتجئين إلى ما يألْفون من حسن عواطفه وشيمه،

فلم يصادفوا إلاّ كرمًا وفضلا،

وعفوا ونبلا،

ومُلْكًا ونُحْلا،

يعطي عطاءً جزلا...

ولم يتمالك عرب البلاد،

أنْ مثلتْ إلى خدمته من شامخات الأطواد،

ومُطَمّساتِ الوِهاد.

- النموذج (٤) في تحويل المُلْك إلى الأشرف:

كتب ابن حاتم، فقال: «وأورده [والده الملك المظفر]

من تكرُّمه عليه،

وتطوله بما صار إليه،

ما عَذُبَ وِرْدُه، وهو أنَّ آراءَهُ الصائبةَ اقتضتْ اختصاصَ مولانا.. الأشرف،

وإيثاره بالمُلْكِ العظيم،

وتمكينه من أزِمَّةِ الأمرِ القويم،

وتشريفه بالذكر السَّنِي على فروق المنابر،

وتكرّمه... على رؤوس العشائر،

في المحافل والمحاضر،

وخروج التقليد الكريم له بمشهدٍ من الملوك والعظماء،

ومحفلٍ من الجحافل الكرماء،

وشهودٍ من القضاة الجلة والعلماء،

فعَقدَ له على المُلك،

ونَظَمَ له مفترقه في السِّلْك،

وقال: هذا وليٌّ عهدي،

وصاحبُ أمري في جُنْدي،

ووارثه من بعدي،

وجمع اسمه معه في الخطبة والسِّكَّة،

ولم ينصَّ عليه بالمساهمةِ والشِّرْكَة.

في النصوص السابقة يبرز التصنع الفني من خلال الجُمل المسجوعة، وقد رصفناها بطريقة تجسد النهايات التي تلفت النظر في شكلها الكتابي وتروق السمع في تتابع إيقاعها الصوتي، كما في قوله: (مُؤَيّدًا مَنْصُورَا) (وَجَذِلًا مَحْبُورَا)، ففيهما التوازي الإيقاعي بين كلمتين كلمتين، وكذا تتوازى الجمل في تناغمها الإيقاعي ويتحقق ذلك بنهاياتها المسجوعة التي تأتي على اتفاق وزنِ أواخرها، كما في قوله: (أفواجًا) و(أزواجًا)، و(الظلمة) و(الأمّة) و(غرته) و(عزمته) وتتقابل مكونات الجملة جاملة أحيانا كما في قوله:

(وتاقَ إلى خدمته وصبَا- ووثِقَ بالعُرفِ منه والحِبَا) إذ تكاد تتشكل من عدد متقارب من الحروف التي لا نقول تكوِّن تفعيلات متشابهة ولكنها تتوازى لتقدِّمَ

شكلا من التناغم المتوج بالنهايات المتوافقة، وهكذا الجانب المعروض من إنشائه المسجوع، إنه السجع الذي ذهب الطرابلسي إلى أنّه: ليس النثر قُطّعت وحداته وقُفِّيت أواخره، ولا هو الشعر تنوَّعتْ قوالبه واختلفت موازينه، وداخلته المرونة في المبنى والمعنى، وإنّما هو نوعٌ من الكتابةِ ثالثٌ، له صلة بسائر الأنواع، ولكنْ له هوية واستقلالا[1].

وكان المنشئ منذ بداية النص الثاني قد بدأ بتنغيم الكلام كما في قوله: (فلم يُرَ يوم (منه في الأيام) أعْجَبَ، ولا آنَقَ، ولا أَبْهَى...)، فمن خلال وقفةٍ مع الوزن، أَفْعَلْ اَلتي تأتي مع (منه) للتعجب، وعليها صاغ الكلمات: (أعجبَ-آنق-أبهى) ووزنها الإيقاعي هو: (فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ)، فإذا نظرنا إلى ما قبل هذا الوزن وجدنا (ولا) التي تكون مع (آنق) (ولا آنق) مفاعيلن، ومثلها (ولا أبهى) وجدنا نغم الكلام يصير على وزن (مفاعيلنْ مفاعيلنْ)، وهي تفعيلة «الهزج» في بحور الشعر الخليلية، وكذا (فعولن فعولن) المتولد في كلمتي: (جُمُوعًا) و(دُرُوعًا)، جنبا إلى جنب مع تقابل إيقاع الجملتين، وهي تعاضد الجو الفرحي الذي يحس به المنشئ.

لقد ظل الأمير محمد بن حاتم حريصًا على أن يربط مثل هذا الترنم والتغني بحالة السعادة التي يشعر بها والابتهاج الذي يرجوه لمن يوجه إليه الخطاب، وهو الأمير الأشرف بشكل خاص الذي انتقل إليه الملك فيما بعد.

وفي النماذج النثرية (٣و٤) وهما في مقام الإشادة بالملك الأشرف أيضا تتداعى أفكار المنشئ فتستعين باستحضار قِطع من الشعر العربي العريق، مما يناسب المقام؛ منها ما اقتبسه من مدح أبي دهبلٍ الجمحي لرجلٍ كريم اليد وكريم الوجه والنفس يعرف بالأزرق، كان عاملا لعبد الله بن الزبير علًى اليمن[2]، كما

١- ينظر: "تحاليل أسلوبية"، ١٣٣.
٢- ينظر: "شرح المرزوقي لديوان الحماسة"، ١٦١٨ و١٦٢٠.

يستحضر من شعر البحتري في وصف موكب الخليفة المتوكل (٢٤٧هـ)، عندما خرج لصلاة العيد في سامرا[١]، وخروج الأشرف إلى مصلى العيد في صنعاء، وهذا الاسترفاد بأجزاء من نصوص سابقة من شعر أو نثر يدخل في باب التناص.

- نخلص مما سبق إلى أنّ الكاتب محمد بن حاتم يجيد فنّ كتابة (النثر الفني) حين يريد التأثير بالكتابة، وقد جعل السجعَ فنَّه الأثير، وجعل النصّ ينمو بطريقة يسمو فيها ليطاول الكُتّابَ العربَ في عصره.

ولسنا هنا في مجال استقصاء كل ما يحيط بالنصوص المدروسة من نثر أديبنا ابن حاتم، فالأوجه كثيرة.

خامسا: الخاتمة:

نختتم هذه الدراسة التي تناولت إبراز عَلم من أعلام اليمن، أديب وشاعر وكاتب، ومؤرخ وأمير وفارس، وساعٍ إلى الصًلح كلما وجد إلى ذلك سبيلا، وهو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بنً عمرو الهمْداني، الذي عاش أزهى عهد في الدولة الرسولية في اليمن، وهو عهد السلطان المظفر (٦٤٧-٦٩٤هـ)، وابنه السلطان الأشرف (٦٩٤-٦٩٦هـ) وقريبا من نصف عهد المؤيد المؤيد (٦٩٦-٧٢١هـ).

وقد توصلت الدراسة إلى أنه كان ذا إسهام واضح في الحياة الأدبية فضلا عن الحياة السياسية والاجتماعية، وكان مستشاراً للسلطان المظفر الذي كان يُجِلُّه ويعمل بمشورته ولاسيما في شؤون محور (صنعاء صعدة)، الذي لم يتوقف فيه الصراع على النفوذ بين الدول المتتابعة ومنها الرسولية والأئمة الزيدية.

١- ينظر ديوان البحتري: ٢ / ١٠٧١-١٠٧٢، سبق إيراد الأبيات ضمن النماذج المختارة.

وقد قدمتِ الدراسة للقارئ ما بقي من شعر هذا الفارس الأديب ومختاراتٍ من كتابته النثرية مضبوطة المبنى والمعنى، وأظهرت بالدراسة الفنية ملامح الفنين وجمالياتهما التي نمّتْ عن شاعر وكاتب متمكن من أدواته اللغوية ومعالم الثقافة في عصره، مع مقدرة على جمع الأحداث المعاصرة وكتابة التاريخ، وقد حالفه التوفيق كثيرًا في القيام بالصلح الاجتماعي، نظرًا لما كان يتمتع به من ذكاء فطري ونبلٍ وشهامة.

وتلفِتُ هذه الدراسة الأنظار إلى أنّ ميدان البحث في أدباء اليمن وشعرائها في العصر الوسيط لم يزل خصبًا وصالحًا لإجراء أبحاث ستكشف عمّن غُمروا من الأدباء والشعراء والرجال المؤثرين إيجابيًا في الأحداث، من الذين تنطوي عليهم صفحات كتب التاريخ اليمني وغيرها من المصادر، بل ربما غمر كثير من الأعلام لأسبابٍ ربما يكون على رأسها الصراعات الطائفية التي تؤدي إلى غمط الناس حقهم، ولهذا أوجه الدعوة لرواد البحث العلمي في الأدب بالتجرد من التعصب مهما كان نوعه أو توجهه، فالتراث المشرق ينير الفكر ويذكي جذوة الإبداع...

سادسا: المصادر والمراجع:

- الأشرف، عمر بن يوسف بن رسول، «طُرْفَةُ الأصحاب في معرفة الأنساب»، تح: ك. و. سترستين، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.
- الصفدي خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)، «أعيان العصر وأعوان النصر»، تحقيق: نبيل أبو عمشة وآخرين، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- الأنف، عماد الدين إدريس بن الحسن (٨٧٢هـ)، نزهة الأفكار وروضة الأخبار، (مخطوط)، منه نسخة إليكترونية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، مأخوذة من ميكرو فيلم (٧٤٩٣) عن الهيئة المصرية للكتاب، تم تصويره عام١٩٨٣م من مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.
- البحتري، الوليد بن عبيد، «ديوان البحتري»، تح: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (د ت).
- الجمحي، أبو دَهْبَل، «ديوان أبي دهبل الجمحي»، برواية أبي عمرو الشيباني، تح: عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف، العراق، ١٩٧٢.
- الجَنَدي، محمد بن يوسف بن يعقوب، «السلوك في طبقات العلماء والملوك»، تح: محمد علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٩٣م.
- الحذيفي، عبد الله طاهر علي، «حاتم بن أحمد الهمداني سلطان صنعاء (٥٣٣-٥٥٦هـ) حياته وما تبقى من شعره، جمع وتحقيق ودراسة»، مجلة جامعة الوصل دبي، العدد٥٧، يونيو: ٢٠١٩م.
- ابن أبي حفصة، مروان، «شعر مروان بن أبي حفصة»، تح: حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م.
- الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي، «تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار»، تحقيق: د.عبد المحسن المدعج، مؤسسة الشراع العربي، الكويت،، ١٩٩٢م.
- الخزرج، علي بن الحسن، «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية»، تحقيق محمد بسيوني عسل وتعليق محمد الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ودار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

- الخزرجي، علي بن الحسن، العسجد المسبوك، مصورة وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨١م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ)، «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون»، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار بساط، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨.
- الرفاء، السري بن أحمد، «ديوان السري الرفاء»، شرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج، ديوان ابن الرومي، تح: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣.
- الطرابلسي، محمد الهادي، تحاليل أسلوبية، عالم الكتب، تونس، ط ٢٠٠٦م.
- العقيلي، محمد بن أحمد، «تاريخ المخلاف السليماني»، مطابع الرياض، الرياض، ط٣، ١٩٩٨م.
- فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- القاضي، وداد عفيف، «بشر بن أبي كبار البلوي نموذج من النثر المبكر في اليمن»، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- بامخرمة، الطيب بن عبد الله، «تاريخ ثغر عدن»، اعتنى به علي حسن الحلبي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، «شرح ديوان الحماسة»، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، القسم الرابع (د.ت).
- المقحفي، إبراهيم أحمد، «معجم البلدان والقبائل اليمنية»، دار الكلمة، صنعاء، ط٤، ٢٠٠٢م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، «لسان العرب»، القاهرة، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة، المرتبة بالطريقة (الألف بائية) (د.ت).

- الهمداني، الحسن بن أحمد (ت بعد٣٤٤هـ)، «صفة جزيرة العرب»، تحقيق: محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.
- الهمداني، بدر الدين محمد بن حاتم، «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن»، تحقيق: ركس سمث، منشورات جامعة كمبردج، ١٩٧٣م.
- الهمداني، حسين فيض الله، «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن»، بيروت، ومنشورات المدينة، صنعاء ط ٣، ١٩٨٦م.
- اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد (ت ٧٤٣ هـ)، «بهجة الزمن في تاريخ اليمن»، تحقيق: عبد الله الحبشي، ومحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط ١٩٨٨م.
- SIMITH, G.R. (1987).The Ayyubids and early Rasulds in Yemen (567-694 \1173-1295): A study of ibn Hatim's Kitab al- Simt including glossary, geographical and tribal indices and maps. (Vol.2). 1-3. London: The Trustees of the "E.J.W.GIBB MEMORIAL".

References:

- Al-Ashraf, Omar bin Yusuf bin Rasul, “Turfat Al Ashab fi Marifat Al Ansab”, ed: K. W. Steristeen, Dar Sader, Beirut, 1992.
- Al-Safadi Khalil Bin Eibik (764 AH), Aaian Al-asr Waawan Al-nasr, Ed: Nabeel Abu Amshah and others, Dar Alfikr, Damascus, 1998.
- Al-Anf, Imad al-Din Idris bin al-Hasan (872 AH), Nuzha Alafkar and Rawdat al-Akhbar, (manuscript), of which an electronic copy at Juma Al Majid Center for Culture and Heritage in Dubai, taken from a micro-film (7493) from the Egyptian Book Authority, copied in 1983 in the Library of the Big Mosque -Sanaa.
- Al-Buhtri, Al-Walid Bin Obaid, “Diwan Al-Buhtri”, ed. Hassan Al-Sayrafi, Dar Al-Maarif, Cairo, 3rd Edition.
- Al-Jumahi, Abu Dahbal, “Diwan of Abi Dahbal Al-Jumahi”, narrated by Abu Amr Al-Shaibani, ed: Abdul-Azim Abdul-Mohsen, Al-Qada Press, Najaf, Iraq, 1972.
- Al-Janadi, Muhammad Bin Yusuf Bin Ya`qub, “Behavior in the Classes of Scholars and Kings”, ed: Muhammad Ali Al-Akwa, Ministry of Information and Culture, Sana’a, 1993.
- Al-Hudhaifi, Abdullah Taher Ali, “Hatim bin Ahmed Al-Hamdani, Sultan of Sana’a (533-556 AH), His Life and What Remains of his Poetry, Collection, Investigation and Study”, Al Wasl University Journal Dubai, Issue 57, June: 2019.
- Ibn Abi Hafsa, Marawan, “The Poetry of Marawan Ibn Abi Hafsa,” Ed: Hussein Atwan, Dar Al Maarif, Cairo, 3rd Edition, 1982.
- Al-Hamzi, Imad al-Din Idris bin Ali, “History of Yemen from Kitab kanz Al Akhyar fi Marifat Assyiar wa al Akhbar”, edited by: Dr. Abdul-Mohsen Al-Madj, Arab Sail Foundation, Kuwait, 1992.
- Al-Khazraji, Ali bin Al-Hassan, “Al Auqoud Al LoLoeyah fi Tarikh Al Dawleh Al Rasooliyah ,” Edited by Muhammad Bassiouni Asal and Commentary by Muhammad Al-Akwa, Yemeni Studies and Research Center, Sana’a, and Dar Al-Adab, Beirut, 2nd Edition, 1983.
- Al-Khazraji, Ali bin Al-Hassan, Al-Asjd Al-Masbouk, copy of the Ministry of Information and Culture, Sanaa, 1981.
- Ibn al-Daybaa, Abd al-Rahman bin Ali (d.944 AH), “Qurat al-Auyun bi Akhbar Al Yemen Al Maimoon,” edited by: Muhammad bin Ali al-Akwa, Dar Bisat, Beirut, 2nd Edition, 1988.

- Al-Raffa, Al-Sari bin Ahmed, "Diwan Al-Sari Al-Raffa", Explained by Karam Al-Bustani, Dar Sader, Beirut, 1st Edition, 1996.
- Ibn Al-Roumi, Ali Ibn Al-Abbas Ibn Jureij, "Diwan Ibn Al-Roumi, Ed: Hussein Nassar, House of National Books and Archives, Cairo, 3rd Edition, 2003.
- Al-Trabelsi, Muhammad Al-Hadi, Stylistic Analyses, The World of Books, Tunisia, 2006 Edition.
- Al-Auqaili, Muhammad bin Ahmed, "The History of the Al-Mikhlaf Al-Sulaimani", Riyadh Press, Riyadh, 3rd Edition, 1998.
- Farag, Hossam Ahmed, The Theory of Textual Science: A Systematic View of Constructing the Prose Text, Literature Library, Cairo, 1st Edition, 2007.
- Al-Qadi, Widad Afif, "Bishr Ibn Abi Kibar al-Balawi, a Model of Early Prose in Yemen," The Westen Islamic Dar, Beirut, 1st Edition, 1985.
- Bamakhrama, Al-Tayyib bin Abdullah, Tarikh Thaghr Eden, taken care of by Ali Hassan Al-Halabi, Dar Al-Jeel, Beirut, 2nd edition, 1987.
- Al-Marzouki, Ahmed bin Muhammad bin Al-Hassan, "Sharh Diwan al-Hamasa", Ed: Ahmed Amin and Abd al-Salam Haroun, Authoring, Translation and Publishing Committee, Cairo, Section IV.
- Al-Maqhafi, Ibrahim Ahmed, "The Dictionary of the Countries and the Yemeni Tribes", Dar Al-Kalima, Sana'a, 4th Edition, 2002.
- Ibn Manzur, Muhammad Ibn Makram, "Lisan al-Arab," Cairo, edited by: Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hassaballah, and Hashim Muhammad al-Shazly, Dar al-Ma'arif edition, Cairo, arranged alphabetically.
- Al-Hamdani, Al-Hassan bin Ahmed (died after 344 AH), " Sifet Jazerat Al Arab", edited by: Muhammad Al-Akwa, Al-Irshad Library, Sana'a, 1st Edition, 1990.
- Al-Hamdani, Badr al-Din Muhammad bin Hatim, "Al-Simt Al-Ghali Al-Thamen fi Akhbar Al Muluk min Al Ghoz bi AlYemen," edited by: Rex Smith, Cambridge University Press, 1973.
- Al-Hamdani, Hussein Faydallah, "The Sulayhids and the Fatimid Movement in Yemen," Beirut, and Al-Madinah Publications, Sana'a, 3rd Edition, 1986.
- Al-Yamani, Abd al-Baqi bin Abd al-Majid (d.743 AH), " Bahjet Al Zamen fi Tarikh Al Yemen", edited by: Abdullah al-Hibshi and Muhammad al-Sanabani, Dar al-Hikma al-Yamania, Sana'a, 1988.

- **The Scientific, Economic and Social links of the scholars of Mecca and Egypt in the 8th century AH**
  Dr. Abdulrahman Hefdhldin 323-374

- **Contemporary Reading for the Quranic Text: A Linguistic, Fundamental critical Study**
  Dr. Mohi Eldin Ibrahim Ahmed 375-416

- **The Guiding book to Qur'an and the Seven Letters: the Connotations of the Union of the Nation and the Causes of Trust and Dependence)**
  Dr. Hamza Hassan Sulinam Saleh 417-460

- **Disclosure of Patient's Medical Record to the Spouse - An Islamic Law Perspective**
  Dr. Man Baker - Dr. Anas Jerab 21-38

Contents

- **PREFACE**
  Editor in Chief 17-19

- **Supervisor's Word: Deeds Not Words: The Hope Probe and the Elevation of Scientific Research**
  General Supervisor 20-22

- **Articles** 23

- **Prince Muhammad bin Hatim bin Amr Al-Hamdani His Life and What is Left of his Poetry and Prose (Died: 713 AH- 1313 AD)**
  Dr. Abdullah Taher Ali Alhuthaifi 25-84

- **The coherence of the Qur'anic discourse at the indicative level: the chapters start with single letter or abbreviated letter**
  Dr. Nizar Jebril Alseoudi - Dr. Ali Kamel Alsharef 85-134

- **Analyzing the Factor Pattern in the Novel (Mata'a) In the light of Social Psychological Studies for Dr.Mariam Hassan AL-Ali**
  Dr. Najia Ali Rashied 135-170

- **The Use of Folk Tales in Children's Stories**
  Dr. Badeeah Khaleel Ahmed Alhashmi 171-212

- **The hadith of Muadh bin Jabal in the collection of prayer in the Battle of Tabuk - A critical inductive study**
  Dr. Abel salam A.M.Abusamha 213-270

- **Linguistic System Authority between the Scholarly Language and the Institutional Language**
  Prof. Ahmed Hassani 271-322



UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

ISSUE NO. 61
Ramadan 1442H - May 2021CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **“Ulrich’s International Periodicals Directory”**
under record No. 157016
e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae



UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

May - Ramadan
2021 CE / 1442 H


61

Issue No. 61


Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae